ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي
دراسة عقدية

إعداد دكتورة

جيهان نور الدين محمد المقدم

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي منهجا وتطبيقا

جيهان نور الدين محمد المقدم
قسم العقيدة والفلسفة ،كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:gehannour@azhar.edu.eg

الملخص:
أولى الإسلام موضوع الحوار أهمية فريدة في الإسلام، فلقد زخر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالكثير من القصص التى تجسد هذا المعنى، فهو أفضل طرق الإقناع الذي ينبع من ذات الإنسان، كما أنه أساس الإيمان النابع من داخل الإنسان والذي لا يمكن أن يفرض عليه فرضاً من الخارج، استخدم القرآن الكريم مبدأ الحوار كوسيلة ناجحة في توضيح المواقف وهداية العقول، والتدرج بالحجة التي تحترم كرامة الإنسان وتعلي من شأن عقله، أما الرسول ﷺ فقد كان أفضل من استخدم أسلوب الحوار وعرف أهميته ووظيفته. لذا كان للحوار في الإسلام ضوابط وأركان وآداب؛ فالحوار ينبغي أن يكون مُمنهجاً بالحكمة متصفاً بالموعظة الحسنة، فلا ينبغي أن يكون الحوار أهوجاً دون أسس وقواعد وضوابط، وإلا انقلبت نتائجه ولم يؤت ثماره، كما يجب أن يكون الحوار باستخدام الأسلوب الحسن بعيداً عن العنف والتشكيك، الهدف من البحث: المتأمل في الواقع المعاصر وما فيه من هجمات شرسة على الإسلام، يدرك أنه يتحتم على كل مسلم أن يكون له دوره في مواجهة تلك الهجمات، ولا تأتي المواجهة إلا عن طريق قوة الحجة وصحة البرهان وسلامة العرض والبيان والفكر، كما أن الحوار يسهم في إعادة العلاقات الاجتماعية إلى طريق السلامة، وفي تأصيل المحبة والاحترام بين الناس لخلق عالم إنساني يقوم على المحبة والاحترام فيما بينهم. لذا فنحن في حاجة مستمرة لبيان أهمية الحوار في الفكر الإسلامي، وكيف يمكن الوصول إلى الحوار المنطقي الممنهج؟ وما هي ضوابط الحوار مع الآخر؟ وفي هذا البحث إن شاء الله تعالى نتناول بالعرض والتحليل ضوابط وأركان الحوار في الإسلام من خلال دراسة موجزة وفق المنهج الإسلامي الذي كان أول منهج علمي عقلي يدعو إلى الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

الكلمات المفتاحية : ضوابط ـ الحوار ـ الفكر الإسلامي ـ أركان الحوار ـ المنهج الإسلامي ـ التطبيق.

Dialogue Regulations in the Islamic Conception
An Approach and Application

Gehan Nor El-din Muhammed El-Muqadm
Creed and Philosophy Department, 10th Ramadan El-Azhar College for Girls, El-Azhar University , Egypt.
E-mail :gehannour@azhar.edu.eg

Abstract:

Islam has given dialogue a unique interest, as the Quran and the purified Sunnah are full of lots of stories that respect such meaning as dialogue is the best way of persuasion which springs from the inner soul of man as he can't be forced. The Quran used the principle of dialogue as a successful means to clarify situations and to guide brains and gradually gives a proof which respects man's dignity and mind. As for the prophet, peace be upon him, he was the best that used dialogue and knew its role and importance. Thus, dialogue in Islam had regulations, pillars and decency as it should have a wise approach that is characterized by good advice as it should not be rash without pillars or rules; else its results would be reversed and it would be fruitless. Dialogue should use good style and be away from doubt and violence. The aim of the research: One who speculates in the recent time and what it contains from fierce attacks on Islam, will realize that every Muslim has a role in facing such attacks and such confrontation does not come but through strong and valid proof of conception. Also, dialogue contributes to reshaping social relationships to safety

which in its turn deepens intimacy and respect among people to create a world that is built on love and respect. Accordingly, we are in a continuous need to show the importance of dialogue in the Islamic conception. How to reach such logical dialogue? And what are the regulations of dialogue with others? In this research, God willing, we will analyse and show the regulations and pillars of dialogue in slam through a brief study according to the Islamic curriculum which was the first scientific one that calls for dialogue and debate in a decent way.

Key words: Regulations, Dialogue, Islamic conceptions, Principles of Dialogues, Islamic curriculum, Application

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، وقدر فهدى، خلق الإنسان وعلمه البيان فالحمد لله على نعمة البيان، فالكلام والبيان من أجل نعم الله على الإنسان، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وقائد الأمة الذي بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى آتاه اليقين ، ورضي الله عن صحابته الأبرار الأخيار ، وعلى كل من اتبع نهجه وسلك طريقه إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد حرر الإسلام العقول من الشرك والوثنية ومنح المسلمين حرية الرأي والتفكير، وشرف الإسلام وقوته أنه أول من حث على ذلك، وكان المسلمون الأوائل هم قادة الأرض فكريا وعلميا واقتصاديا وخلقيا..، بحافز من تعاليم القرآن الكريم وآدابه وتشريعاته مع وقوفهم على حضارة غيرهم من الأمم و الحضارات وأخذ ما ينفعهم منها.

ومن أظهر أشراط الحرية وأقوم سبلها وأصلحها طريقة الحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ لأن الحوار السليم لا يتحقق إلا بمناقشة الآراء على بساط الحرية والصراحة اللتين هما أقوم سبيل لحل المعضلات وتوضيح المبهمات وعرض المعتقدات والآراء وتوحيدها وتقويتها.

وقد أولى الإسلام موضوع الحوار والجدال أهمية فريدة في الإسلام، فلقد زخر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالكثير من القصص التى تجسد هذا المعنى، فهو أفضل طرق الإقناع الذي ينبع من ذات الإنسان، كما أنه أساس الإيمان النابع من داخل الإنسان والذي لا يمكن أن يفرض عليه فرضاً من الخارج.

استخدم القرآن الكريم مبدأ الحوار كوسيلة ناجعة في توضيح المواقف وهداية العقول، والتدرج بالحجة التي تحترم كرامة الإنسان وتعلي من شأن عقله، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان أفضل من استخدم أسلوب الحوار وعرف أهميته ووظيفته.

لذا كان للحوار في الإسلام ضوابط وأركان وآداب؛ فالحوار ينبغي أن يكون مُمنهجاً بالحكمة متصفاً بالموعظة الحسنة، فلا ينبغي أن يكون الحوار أهوجاً دون أسس وقواعد وضوابط، وإلا انقلبت نتائجه ولم يؤت ثماره، كما يجب أن يكون الحوار باستخدام الأسلوب الحسن بعيداً عن العنف والتشكيك.

لذلك اعتبر العلماء أن التسلح بقواعد هذا العلم فرض على كل عالم، وواجب عليه مقدس، شأنه شأن الجهاد والدفاع عن العقيدة الإسلامية لأنه "لا يحسن بحامل السنة الجهل بالبراهين العقلية والنقلية لحراسة الدين والعقيدة من عبث الملحدين وكيد المبطلين" (1)، ولأنه أيضا هو الوسيلة لبناء العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ في نفس الإنسان وعلاج المشكلات التي تعاني منها الإنسانية، فكم من دمار وحروب وتباغض وهدم وتفريق بسبب رفض الحوار والمناقشة الموضوعية وفق المنهج العلمي الصحيح الذي هو أساس التعايش والتواصل مع الآخر، ففي الحوار والمناظرة بل والمجادلة السلمية خير كثير "فهما بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأي ولا يتقبل معهما حزم" (2) .

وفي ذلك يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ سورة النحل/١٢٥، أي " من احتاج إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب" (3) ، ويقول ابن السعدي:" فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه الحق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن وهي الطرق التي أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها " (4).

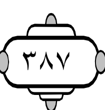
---

(١) مقدمة ابن خلدون. تحقيق.د/ علي عبد الواحد وافي ص٤٣٠، دار نهضة مصر ط ٧ سنة٢٠١٤م.

(٢) روضة العقلاء ونزهة العقلاء.محمد بن فضل حبان ج١/ ٢٩٢، مكتبة السنة المحمدية.

(٣) تفسير ابن كثير ج٤/٥٣، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. الناشر/ مؤسسة قرطبة ـ مكتبة أولاد الشيخ للتراث ط١ سنة١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤) تفسير ابن السعدي.عبد الرحمن السعدي ج٣/٩٣، المكتبة الشاملة.



ومن ثم كان الحوار والجدال بالتي هي أحسن واجبا، وقد أعد القرآن الكريم لهذا العلم قاعدته الأساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين الآخر، إذ لا يمكن أن يغلق باب من أبواب التواصل والمعرفة بين الناس؛ لأن الله تعالى جعل ذلك وحده هو الحجة على الإنسان في الطريق الواسع الممتد أمامه في كل المجالات المتصلة بالحياة.

وعلى ذلك ينبغي أن نبين أن علم المناظرة والحوار هو علم إسلامي شكلا وموضوعاً، وأنه لا يمت بصلة ولا بنسب إلى الجدل اليوناني؛ ذلك لأن الجدل الإسلامي هو: " قواعد عقلية بالغة الدقة وضعها المفكرون المسلمون لهدف معين محدد هو ضبط عملية المناظرة والحوار للوصول إلى اليقين، وفي هذا الإطار علم إسلامي بحت يختص بدراسة العالية التناظرية الحوارية من خلال تقعيد قواعدها المنطقية وشروطها الأخلاقية بقصد تطوير أسلوب المباحثة التي تتم بين طرفين يسعيان إلى إصابة الحق في ميدان من ميادين المعرفة... " (١).

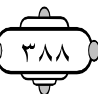
وفي هذا البحث إن شاء الله تعالى نتناول بالعرض والتحليل ضوابط وأركان الحوار في الإسلام من خلال دراسة موجزة وفق المنهج الإسلامي الذي كان أول منهج علمي عقلي يدعو إلى الحوار والجدال بالتي هي أحسن.

الهدف من البحث: المتأمل في الواقع المعاصر وما فيه من هجمات شرسة على الإسلام، يدرك أنه يتحتم على كل مسلم أن يكون له دوره في مواجهة تلك الهجمات، ولا تأتي المواجهة إلا عن طريق قوة الحجة وصحة البرهان وسلامة العرض والبيان والفكر.

كما أن الحوار يسهم في إعادة العلاقات الاجتماعية إلى طريق السلامة، وفي تأصيل المحبة والاحترام بين الناس لخلق عالم إنساني يقوم على المحبة والاحترام فيما بينهم.

---

(١) طبيعة الحوار في القرآن الكريم.د/ شوقي إبراهيم عبد الله، ص١٦٠، حولية أصول الدين بالقاهرة. العدد التاسع سنة١٤١٢هـ ١٩٩٢م.



لذا فنحن في حاجة مستمرة لبيان أهمية الحوار في الفكر الإسلامي، وكيف يمكن الوصول إلى الحوار المنطقي الممنهج؟ وما هي ضوابط الحوار مع الآخر؟

خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.
المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع والهدف منه، وخطة البحث.
التمهيد وفيه: أهم المصطلحات الواردة في البحث.
المبحث الأول: الحوار أنواعه ـ أركانه ـ فوائده.
المبحث الثاني: ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي.
المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من الحوار في الفكر الإسلامي.
المبحث الرابع: الحوار في العصر الحديث.
الخاتمة: بها أهم النتائج.

وأسأل الله العظيم أن يوفقني في هذا البحث، وأصلى وأسلم على نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آل بيته الأطهار وعلى أصحابه الأبرار.

التمهيد

أهم المصطلحات الواردة في البحث

أولا: تعريف الحوار لغة واصطلاحا:

تعريف الحوار لغة: أصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة [1]، والمحاورة والحوار المرادة في الكلام ومنه التحاور[2]، والحور أيضا بمعنى النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال.

تعريف الحوار اصطلاحاً: علم يتعلق بقواعد نظرية وأخلاقية تضبط المباحثات والمناظرات لاستبعاد الخطأ والشك من النتائج التي يتوصل إليها المتناظران[3]؛ ولذلك عرفه بعضهم: بأنه نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه[4].

ثانيا: تعريف الجدل:

الجدل لغة: مشتق من جادل ، يجادل. ومنه يقال: جادلت الرجل فجدلته إذا غلبته، والاسم: الجدل[5].

والجدل هو: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة[6].

---

(١) لسان العرب. لابن منظور.ج٢١٨/٤، الناشر/ دار المعارف سنة ٢٠٠٨م

(٢) القاموس المحيط. الفيروز آبادي. ج٤٨٦/١.

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي. بسام داود عجك.ص٣٠، ط١ دار قتيبة سنة ١٩٩٨م.

(٤) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. يحيى بن محمد حسن زمزمي. ص٢٢، الناشر/ دار التربية والتراث ط١٤١٤هـ سنة١٩٩٤م.

(١) لسان العرب لابن منظور. مادة جدل ،جـ٦٧/٢.

(٦) انظر: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي ، ص٥٨.تحقيق/أحمد إبراهيم زهو. دار الكتاب العربي .بيروت ط١سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م،

الجدل اصطلاحا: تنوعت الآراء والتعاريف حول تحديد معنى الجدل اصطلاحا، وسوف نذكر أقرب التعاريف وفاءا وشمولا للمعنى الاصطلاحي، ومنها:

عرف إمام الحرمين الجويني الجدل بأنه: " إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما علي التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة" [١] .

وعرفه ابن حزم بقوله: (والجدل والجدال: إخبار كل واحد من المختلفين بحجته، أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلا، وقد يكون محقا، والآخر مبطلا، إما في لفظه، أو في مراده ، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا محقين في ألفاظهما، ومعانيهما)[٢] .

وقد أخذ الجدل(Dialectic) معاني متعددة في المدارس الفلسفية المختلفة، فعلى سبيل المثال كان الجدل لدى سقراط مناقشة تقوم على حوار (سؤال وجواب)[٣].

وقد تناول ابن خلدون في مقدمته الجدل كعلم له آدابه وضوابطه وذكر الجدل بأنه:" معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان من باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يصنعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال

وراجع: التعريفات للجرجاني ص٥٥ط سنة١٣٥٧هـ، ولسان العرب لابن منظور مادة الجدل جـ٣/٥٦٩.

(١) الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني تحقيق د/ فوقية حسين محمود.ص٢١ط عيسى البابي الحلبي وشركاؤه سنة١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

(٢) الإحكام في الأحكام. ابن حزم الأندلسي.جـ١/٤٥.دار الجيل بيروت ط٤ سنة١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

(٣) المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية.ص٥٩.الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة١٤٢٣هـ١٩٨٢م.

المستدل والمجيب ..." [1]، وعرفه أيضا بأنه: " معرفة القواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان هذا الرأي من الفقه أو غيره" [2].

والجدل كما سبق أن أوضحنا: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه: مقابلة الحجة بالحجة، وإلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان[3].

من خلال ذلك يتضح لنا أن الجدل يكون نتيجة خلاف بين طرفين أو عدة أطراف حول قضية ما، يحاول كل طرف فيها إثبات صحة حجته، وفي الوقت نفسه دفع حجج الآخرين.

ثالثا: المصطلحات ذات الصلة:

وهناك الكثير من المصطلحات ذات صلة بالحوار ، وتستخدم كثيراً مع مفهوم الحوار، أو بديلاً له، خاصة إذا ما أدخلنا في الاعتبار أمراً آخر وهو الدعوى التي تقول بأن اللغة تحمل سمات فكر من يتكلمونها، فإن غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدل بحق على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي، والتزامهم به لأكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها.

وهناك الكثير من المفردات المشتركة في ذلك، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المحاورة والمجادلة والمناقشة والمحاجة والمنازعة والمخاطبة والمداولة والمداخلة...، وغيرها الكثير. [4].

---

(١) مقدمة ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. تحقيق/ درويش الجويدي ص٤٢٨، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع. صيدا. بيروت ط٢ سنة١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم تهذيب اللغة.لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري.تحقيق د/ رياض زكريا قاسم.جـ٥٦١/١ دار المعرفة بيروت.لبنان ط١ سنة ١٤٢٢هـ١-٢٠٠١م.

(٤) هذه المادة التي تدل على التحاور والجدال والمناقشة والمناظرة والمراجعة بين الناس في أمور معينة، قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة، راجع:

الفرق بين الحوار والجدال والمناظرة والمناقشة:

الحوار والجدال كلاهما حديث ومناقشة ومراجعة في الكلام بين طرفين، لكن في كثير من الأحيان قد يتحول الحوار إلى جدال، مصحوبا بخصومة ومشادة في الكلام بين الطرفين المتحاورين، دون الوصول إلى النتيجة المرجوة؛ وذلك لأن الحوار يلتزم فيه جانب الرفق واللين في الكلام، وعند فقدان هذا الجانب لا يكون الحوار حوارا؛ لأنه في هذه الحالة يخرج المرء عن آداب الكلام، ومن هنا لابد من أن نفرق بين الحوار والجدال، تفريقا يوضح مدلول كل منهما؛ فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث ومناقشة بين طرفين لكنهما يفترقان بعد ذلك، وعلى هذا يمكن تعريف كل منهما على النحو التالي:

الحوار هو: حديث يجري بين شخصين أو أكثر لتوصيل معلومة أو الإقناع مثال ذلك: الحوار الذي دار بين صاحبي الجنتين، قال تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف من ٣٢ : ٣٧ ، وقد ذكر الحوار في القرآن الكريم على وجه العموم؛ سواء بلفظ الحوار أو مشتقاته، أو بذكر وصفه وما جرى فيه من أقوال للمتحاورين، ويأتي كذلك كثيراً بلفظ المجادلة... [1].

أما الجدل فهو: حديث يجري بين شخصين أو أكثر لإفحام الطرف الثاني، أو إقناعه بفكرة معينة، قد تغلب عليه الخصومة[2].

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم من ص٥٤٤: ٥٧٨. أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، وانظر: تاريخ الجدل. الشيخ/ محمد أبو زهرة ص٥، الناشر/ دار الفكر العربي بالقاهرة.

(١) مقاييس اللغة. للعلامة/ أحمد بن فارس الرازي. تحقيق/ عبد السلام هارون جـ١٧٩/٤، دار الفكر.ط سنة١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) انظر: الكافية في الجدل. أبو المعالي الجويني. تحقيق د/ فوقية حسين محمود ص٢١، الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية سنة١٩٧٩م.

فعلى ذلك نرى أن الحوار والجدل كليهما حديث ومناقشة، ومراجعة في الكلام بين طرفين، لكن في كثير من الأحيان قد يتحول الحوار إلى جدل مصحوبا بخصومة ومشادة بين الطرفين المتحاورين دون الوصول إلى النتيجة المرجوة.

وأما الحوار والمحاورة: فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة.

أما الحوار والمجادلة: فقد جاءت الشريعة الإسلامية ببيان مشروعيتهما، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ سورة النحل : ١٢٥ ، وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة /١، فقد جاءت الصيغة هنا بمعنى الحوار الهادئ، فالجدل والحوار يشتركان في إيضاح الحق والصواب، إذ أريد بالجدل معرفة الصواب، وتلك هي المجادلة المشروعة التي شرعها القرآن الكريم في كثير من آياته.

الفرق بين الجدل والمناظرة:

الجدل: هو مدافعة عن النفس لإسكات الخصم، وبيان ضعف حجته سواء بحق أو باطل.

المناظرة: هي مدافعة لأجل الوصول للحق وإظهاره ولو كان على الشخص؛ لأن الغرض منه هو إظهار الحق والصواب.

إلا أن بعض العلماء لم يفرق بينهما ومنهم الإمام الجويني فالكل عنده بمعنى واحد(١)، ويرى صاحب المواقف: " أن النظر غير الجدل، فإن الجدل هو المباحثة لإلزام الغير، والنظر هو الفكر ولا يلزم من كون الجدل منهيا عنه كون النظر كذلك ،كيف وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى

(١) المصدر السابق ص٢١.



خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ سورة آل عمران /١٩١ .

فيكون مرضيا لا منهيا" [١]، وقد أوجب ابن حزم الأندلسي الجدال والمناظرة واستدل على وجوبهما بقول النبي (ﷺ):(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [٢] ، ويقول: " وهذا حديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله" [٣].

وهناك من يرى أن الفرق بين الجدال والمناظرة باعتبار القصد والنية، فالمقصود هو ظهور الحق في المطلوب، أما مقصود المجادلة المذمومة فهو رجوع الخصم إلى قول المجادل" [٤]، وعلى ذلك فالمجادلة والمناظرة معنيان قريبان من المحاورة، فالمجادلة مشتقة من الجدل، والمجادل أن يجادل صاحبه ليأخذه إلى رأيه وليقنعه بفكرته، والمناظرة هي النظر في الأمر بين اثنين رغبة في أن يكون نظر أحدهما هو الذي يقدم أو يقبل عند الآخر، والمجادلة والمحاورة أيضا بمعنى قريب من هذا.

أما المناقشة: شاع بين الناس استخدام لفظ المناقشة في معنى المحاورة، وهذا خطأ في الاستعمال؛ لأن لفظ المناقشة عند علماء اللغة هو:" استيفاء الحساب، والحساب يكون بين طرفين عادة، ولكن استيفاءه يكون في العادة لمصلحة أحد الطرفين فحسب، فمناقشة أحد الطرفين لآخر في اللغة معناها أن يستقصي محصيا ومستوعبا كل ما له على الآخر، ويستشهد على ذلك صاحب البلاغة بقول عائشة رضي الله عنها:" من نوقش الحساب عذاب"

---

(١) انظر: المواقف في علم الكلام.عبد الرحمن الإيجي. جـ١/١٦٠.مكتبة المتنبي بالقاهرة ، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد.د/ عثمان على حسن.جـ١/٣١دار أشبيليا بالرياض.ط١سنة١٤١٧هـ، وراجع: آداب البحث والمناظرة. الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطى.ص٩٠.الناشر/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم بجدة.

(٢) الحديث: رواه النسائي ، باب الجهاد، برقم (٣٠٩٦) ، وأبو داوود في باب الجهاد جـ٣/١٥٣.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي. جـ١/ ٢٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم. لأبي مظفر السمعاني ج٢/٤٢٥.

[١] ، أي من أحصيت واستقصيت أعماله ليحاسب عليها حسابا عاديا دون أن يتداركه عفو الله تعالى وغفرانه فلا بد أن يصيبه العذاب، ولكن الكثير من المثقفين يستعملونها للمحاورة وهذا خطأ نشأ من شيوعها في التخاطب بين الناس [٢] .

العلاقة بين الحوار والجدل والمناظرة:

علاقة الحوار بالجدل والمناظرة قال الراغب الأصفهاني:" حور الحوار: التردد إما بالذات وإما بالفكر، والمحاورة المرادة في الكلام ومنه التحاور التجاوب، فإذا كان الجدل مرتبطا بالخلاف إذ لا جدال إلا من حيث إدراك حقيقة من الحقائق، فالحوار يستوعب جميع أنواع التخاطب، ولذلك فالحوار أعم، وقد ورد لفظ الحوار في كتاب الله ثلاث مرات: "فقال لصاحبه وهو يحاوره: أنا أكثر منك مالا"، وقوله سبحانه: "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب..." والثالث بصيغة المصدر كما في قوله تعالى: "والله يسمع تحاوركما" بينما لفظة الجدل وردت فيه بصيغ مختلفة أما المناظرة فتختلف عن الجدل من حيث الاشتقاق اللغوي فقط بينما يترادفان اصطلاحا"[٣].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المحاورة أعم من المناظرة، وكل من المحاورة والمناظرة حوار، وإن وجد في الحوار محاجة أو مجادلة أو خصومة كان مناظرة[٤].

---

(١) الحديث: رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، فتح الباري ج١١/٤٠٠، وصحيح مسلم ج٤/٢٢٠٤، برقم/ ٢٨٧٦، راجع: أساس البلاغة ج٧/ ٢٠٨ ط مصطفى الحلبي.

(٢) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم.د/ عبد الحليم حفني ص١٤، الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط٣سنة١٩٩٥م.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. للراغب الأصفهاني. ضبطه وصححه/ إبراهيم شمس الدين ص١٥١، الناشر/ دار الكتب العلمية.

(٤) الحوار والمناظرة في القرآن الكريم.خليل عبد المجيد ص١٨، الناشر/ دار المنار بالقاهرة سنة١٤٠٦هـ.

ويرى الإمام الجويني أن الكل بمعنى واحد فيقول: "لا فرق بين المناظرة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريق اللغة" وقد استعمل لفظ الجدل مرادفا للمناظرة في مواطن عدة من كتاب الله تعالى: "لقد سمع الله قول..." (١)

ويرى المتأخرون أن الفرق بين المناظرة والمجادلة يكون بالغاية، لأن غاية المناظرة هي الوصول إلى الحق، وغاية المجادلة إلزام الخصم(٢).

وأما الجدل والحوار يشتركان في إيضاح الحق والصواب، إذا أريد بالجدل معرفة الصواب، وتلك هي المناظرة المشروعة التي شرعها القرآن الكريم في الكثير من الآيات.

وعموما فاختلاف المفاهيم إنما يقصد به انتهاء أداء وظيفة التواصل والتبليغ والدعوة من أجل بناء صحيح المعرفة.

أنواع الجدال: الجدل منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، وكل من الجدل المحمود والجدل المذموم له أنواع، وهى كالتالي:

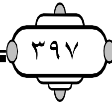
أولا- الجدل المحمود: وهو الجدل المأمور به شرعا، وهو أنواع:

١- إظهار الحق والدلالة عليه، وهذا الذي أمر الله تعالى به نبيه **محمدا** (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦ .

ومن الجدال المحمود الحسن: جدال عبد الله بن عباس رضي الله عنه مع الخوارج في زمن على بن أبى طالب بأمر على رضي الله عنه؛ فأقام

(١) المواقف. عضد الدين الإيجي. د/ عبد الرحمن أبو عميرة ج١/١٦٠، الناشر/ دار الجيل - بيروت ط١ سنة١٩٩٧م.

(٢) تفسير القرآن العظيم. لأبي مظفر السمعاني ج٢/٤٢٥، الناشر/ دار الوطن ط١ سنة١٩٩٧م.



عليهم الحجة وأفحمهم[١]، فهذا هو الجدل المحمود وهو الذي يكون لإظهار الحق بإقامة الأدلة والبراهين على صدقه.
٢- معرفة الصواب من الخطأ: وذلك مثل قصة خولة بنت ثعلبة الأنصارية[2]، والتي نزل فيها قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ①﴾ المجادلة: ١
٣.- عند السؤال والاستفسار لأمر مخفي: وذلك كما في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤.

أهمية الجدل المحمود:

يمكن أن تتبين أهمية الجدل المحمود في أمرين، هما:

١ــــ استعمل القرآن الكريم المجادلة مع أصحاب العقائد الفاسدة من المشركين عبدة الأصنام، والمجوس الذين كانوا يقولون بإلهين أحدهما للنور والآخر للظلمة، والصابئة عبدة الكواكب، وأصحاب الكتب السماوية الذين انحرفوا عن العقيدة الصحيحة، وإلى هذا يشير الشيخ/ مصطفى عبد الرازق بقوله:" كان القرآن يجادل مخالفيه من أرباب الأديان والملل في العرب، رداً على الشبهات التي كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد، على أنه كان لا يمد في حبل الجدل حرصاً على الألفة"[٣].
٢ــــ استعمل النبي (ﷺ) المجادلة في مناقشة المعاندين، وبيان زيف الباطل، ورد كيد المشككين من اليهود والنصارى والمشركين، فكان (ﷺ) يعلن لهم الحق إن كانوا له مطالبين، ويرد كيدهم في نحورهم إن كانوا معاندين متكبرين، ومن هنا قص علينا قصص الرسل والأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وبين أن مجادلتهم كانت تطبيقاً عمليا ومنهجياً يقتدي به في فن الجدل والمناظرة مع الآخر.

---

(١) انظر: الملل والنحل. للشهرستاني.تحقيق/أمير على مهنا، وعلى حسن فاعور.ص١٣٣دار المعرفة.بيروت.لبنان ط٩سنة١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
(٢) انظر: قصص القرآن.على محمد البجاوي وآخرون.ص٣٠٥وما بعدها المكتبة العصرية.صيدا.بيروت سنة١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.
(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. للشيخ/ مصطفى عبد الرازق ص١١٥، ط/ لجنة التأليف والترجمة سنة١٣٧٩هـ١٩٥٩م.

ثانيا- الجدل المذموم: وهو المنهي عنه شرعا، وهو أنواع:

١- الجدل لطمس نور الحق. في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١ ﴾ الأنعام: ١٢١، والدافع إلى هذا النوع من الجدل هو الكبر في نفوس هؤلاء، وهو كبر يمنعهم من قبول الحق والعمل به. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ ﴾ غافر: ٥٦ فهذا النوع من الجدل يهلك صاحبه ويضله ويعميه ويجعله من الخاسرين، والآيات الواردة في هذا النوع كثيرة...، يقول الفخر الرازي: " الجدال المذموم محمول على الجدل في تقرير الباطل وطلب المال والجاه "[١] وهو بهذا المعنى يسمى مكابرة ومعاندة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمروذ بن كنعان، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره كما قال بعده فرعون لملئه في قوله تعالى: ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ القصص: ٣٨، وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تكبره وتجبره وطول مدته في الملك[٢].

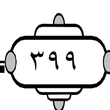
٢- الجدل لإظهار المزية والتقليل من شأن الآخرين: وهذه آفة عظيمة قل من يسلم منها، فهي دأب كثير من الناس في أحاديثهم ومجالسهم، وهي من علامات الضلال في الإنسان.

وقد علم النبي (ﷺ) بأن ترك هذا النوع من الجدل شاق على النفوس التي اعتادته؛ لذا فقد بشر بهذه البشارة العظيمة لمن تركه، وقال (ﷺ): (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا)[٣].

(١) تفسير الفخر الرازي. للإمام/ فخر الدين الرازي ج٢/٢٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم. للحافظ أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير تحقيق/ سامي بن محمد السلامة ج١/ ٦٨٦.

(٣) الحديث في: صحيح أبي داود برقم٤٨٠٠.



وهناك أنواع أخرى من الجدل المذموم ذكرها ابن حزم كما جاءت في القرآن الكريم، منها:

١- جدل بغير علم: في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾ الحج: ٣.

٢- جدل لنصرة الباطل: كما في قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ الكهف: ٥٦، وقد جمع الله تعالى بين نوعى الجدل المذموم المتقدمين كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾ سورة الحج: ٣.

وقد حرم الله تعالى جميع أنواع الجدل المذموم وحذر منه، فأبان الله عز وجل أن المجادل المذموم ليس معه علم ولا هدى وليس معه كتاب يتبعه، بل همه إضلال الناس عن سبيل الله، وقد أمرنا الله تعالى بإتباع ملة إبراهيم الذي حاج قومه حتى يعرفوا الحق؛ ولذلك فرض الله تعالى على المسلمين جدال أهل الباطل لصرفهم إلى الحق.

المبحث الأول

الحوار أنــواعه ـ أركنه ـ فوائده

يشكل الحوار ركناً أساسياً من أركان الدعوة الإسلامية، فالدعوة الإسلامية في الأساس قائمة على حوار المخالفين وإقناعهم بالحجة والمنطق والدليل، وقد قضت مشيئة الله تعالى في خلق الناس بعقول ومدارك متباينة إلى جانب اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأفكارهم، وكل تلك الأمور تقضي إلى تعدد الآراء والأحكام وتختلف باختلاف قائلها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى ودليل من أدلة قدرته البالغة،وإن إعمار الكون لا يتحقق لو خلق البشر كلهم سواسية ، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴿١١٨﴾﴾ هود:١١٨.

ومن هنا حاور القرآن الكريم المخالفين وسلك معهم المنهج القرآني الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥،.

واتبع القرآن الكريم أنواع الحوار المتعددة ليرد كيد الكائدين ويكشف أخطاءهم، ويجلي ما بأنفسهم من آراء ما أنزل الله بها من سلطان، وتتمثل أنواع الحوار التي جاءت في القرآن الكريم بصفة خاصة، والحوارات الأخرى بصفة عامة في الآتي:

أنواع الحوار: للحوار أنواع متعددة، وتصنف تبعاً لنوع القضية التي يتناقش الأطراف فيها، وهي كالتالي:

١ـ الحوار الديني: هو حوار بين مجموعة من الأطراف يكونون مختلفين في الديانة التي يعتنقونها، وهو يناقش تعاليم الأديان المختلفة.

٢ـ **الحوار الوطني**: هو حوار مبني على مناقشة القضايا الوطنية من خلال مؤسسات عامة مهتمة بهذا النوع من الحوارات.

٣ـ الحوار السياسي: له أهمية كبيرة على مستوى العالم بأكمله؛ حيث ينتج عنه عقد اتفاقيات صلح ومعاهدات مختلفة بين الدول، كما تتم فيه مناقشة قضايا ومشكلات الحدود.

٤ـ الحوار الاجتماعي: وهو الذي يهتم ببعض العلاقات والقضايا الاجتماعية التي كانت قائمة بين المسلمين واليهود وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة(١).

٥ـ الحوار الاقتصادي: يتم هذا النّوع من الحوارات من خلال اللقاءات التلفازية، أو المنتديات الاقتصادية، أو عن طريق عقد مؤتمرات اقتصادية، وفيها يناقش أصحاب الخبرة والاختصاص جميع الرؤى الاقتصادية.

٦ـ الحوار التربوي: هو حوار تقيمه المُؤسسات التربوية مع الأشخاص المعنيين بذلك، مثل المفكرين، والباحثين التربويين عن طريق عقد مؤتمرات تربوية؛ بهدف نشر الأفكار التربوية الصحيحة.

٧ـ الحوار الأمني: تعقد الحوارات الأمنية في المُؤسسات الأمنية، وذلك لمناقشة القضايا الأمنية الهامة، مثل قضايا المخدرات، والجرائم وحوادث المرور وغيرها الكثير، وذلك من خلال عقد مؤتمرات وعمل بحوث أمنية(٢).

هذا وقد سلك القرآن الكريم في تقريره لأسلوب الحوار والمجادلة عدة طرائق تخاطب الجوانب المختلفة في النفس الإنسانية، عقله وضميره ووجدانه؛ لذلك فقد تعددت وسائل وأنواع الحوار في الاستدلال القرآني في الرد على الخصوم، منها ما يأتي:

١ـ فقد ورد في القرآن الكريم ما يعرف عند علماء الكلام بقياس الخلف وهو القياس الذي يتم فيه إثبات المطلوب بواسطة إثبات نقيضه؛ وذلك لأن

---

(١) حوار الرسول مع اليهود. د/ محسن بن محمد.ص١٥، الناشر/ دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت.

(٢) "أصول الحوار وآدابه في الإسلام" صالح بن عبد الله بن حميد، شبكة صيد الفوائد، بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠١٧م بتصرف.

النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود، ودليل الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢، فتثبت هذه الآية بطلان تعدد الآلهة وأن الله واحد لا شريك له، لأنه لو كان هناك أكثر من إله لكان لا يجري تدبيرهما على نظام وإتقان، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض، لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً، ويسمى هذا الدليل برهان التمانع(1).

٢ـ كذلك وجد العلماء في القرآن الكريم من طرق الاستدلال ما يعرف عند علماء الكلام بقياس الغائب على الشاهد، الذي يسمى قياس التمثيل: وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر؛ وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول(2)، ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت: ٣٩، فالقرآن هنا يقيس الغائب على الشاهد وهو استخراج النار من الشجر الأخضر الرطب أي استخراج الشيء من ضده، فقياس الغائب هنا وهو إحياء الموتى على

---

(١) برهان التمانع: هو أحد البراهين العقلية المهمة في إثبات وحدانية الله تعالى ونفي تعدد الخالق المدبر، ويتألف هذا البرهان من مقدّمتين أساسيتين، وهما وجود الانسجام والوحدة والتناسق فى عالم الخلق، والثانية: إنه لو كان يحكم هذا الكون أكثر من رب واحد لما انتظم أمر هذا الكون ولدخله الفساد والخلل، وبما أننا لا نلاحظ أي اختلال أو خلل فى هذا الكون والقوانين الحاكمة فيه، ندرك بالبداهة والضرورة أنها تنشأ من مبدأ واحد وأنها مخلوقة ومدبرة ومنظمة من خالق واحد، انظر: القول السديد في علم التوحيد.د/ محمود أبو دقيقة، تحقيق.د/ عوض الله جاد حجازي ص١٩٢، ط الإدارة العامة لإحياء التراث.

(٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم.د/ زاهر عواض للألمعي ص٧١، ط٢ سنة١٤٠٠هـ.

أمر مشاهد محسوس لا يشك فيه عاقل وهو حياة الأرض بعد جفافها ويبسها[١].

٣ـ وجاء في القرآن الكريم التسليم الجدلي للخصوم وقد قام بالرد عليهم، في مثل قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ المؤمنون: ٩١، والمعنى ليس مع الله تعالى إله، ولو سلم ذلك لكم. لزم من ذلك ذهاب كل إله بما خلق وعلو أحدهما على الآخر، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينتظم فيه حكم والواقع خلاف ذلك؛ لأن نظام العالم قائم على أحسن حال، والتناسق الموجود في الكون غاية في الجمال، فبطل إذن وجود آلهة غير الله تعالى لأنه يلزم من ذلك اختلال النظام في العالم، وهذا النوع لا يختلف عن قياس الخلف إلا من جهة التسليم الجدلي المذكور افتراضاً وليس حقيقة وواقعاً [٢].

٤ـ أيضا الاستدلال بالتحدي على صدق الدعوة، فقد تكون الدعوى صحيحة ظاهرة تلمسها الحواس وتستيقنها النفوس ومع ذلك نجد عند بعض الخصوم المكابرة والعناد للحق الواضح، فينهج سبيل المعارضة لكل ما خالف معتقده وهواه دون تدبر للحقائق وللواقع، ومن هذا المسلم معارضة المشركين للرسول ﷺ للقرآن الكريم، وتشكيكهم في نسبته إلى الله تعالى[٣]، وقد رد عليهم القرآن الكريم ونقدهم وبين زيفه وكذبهم،وتحداهم بالاستدلال على صدق الرسول (ﷺ) فيما يبلغ من رسالة الله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة:٢٣.

هذه بعض أنواع وطرق الحوار في القرآن الكريم، وقد اشتملت على جميع أنواع الأدلة الصحيحة في الاستدلال.

---

(١) المرجع السابق ص٧١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٣/٥٤، ط المشهد الحسيني بالقاهرة، وراجع: آداب البحث والمناظرة في ضوء آيات الذكر الحكيم. د/ سيد فرج عبد الحليم. ج١١٧٨/٢، مجلة قطاع أصول الدين. العدد ٣ سنة٢٠٠٨هـ.

(٣) انظر: مناهج الجدل ص٧٨.

أركان الحـــوار: لما كان الحوار أسلوبا حضاريا وضرورة إنسانية ولا يتم التواصل إلا به، بشرط أن تتوافر فيه شروط الحوار البناء الذي يهدف إلى تحقيق المصالح الخيرة؛ لذا شرع القرآن الكريم الحوار البناء، وجعل له أركانه وضوابطه، وأكد على ضرورتها وأهميتها، وفيما يلي بيان ذلك ومنها أركان الحوار:

الركن الأول: وجود طرفين متحاورين، لا بد للحوار من وجود أكثر من طرف في عملية المحاورة؛ لأن الحوار لا يتحقق إلا عندما يتم طرح أكثر من رأي وأكثر من فكرة في موضوع محدد، أما الحوار مع النفس فهو حوار ذاتي يحاول فيه المحاور أن يصنع لنفسه طرفاً من داخله يتفاعل معه، ولكنه مع ذلك يبقى حواراً روحياً داخلياً، أو سراً شخصياً لا يمكن الاطلاع عليه إلا إذا أفصح عنه المحاور.

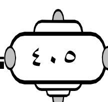
الركن الثاني: وجود موضوع يدور حوله الحوار؛ ذلك لأن الحوار لا يتحقق من فراغ، وإنما يدور حول فكرة أو موضوع يستحق البحث والمناقشة وتبادل الآراء مع الغير، وعدم وجود الفكرة أو القضية التي يجري الحوار بشأنها يجعل عملية التحاور ليست ذي بال ولا طائل منها، بل إنها تتحول من محاورة علمية إلى سفسطة كلامية توصل أطرافها إلى المنازعة والخصومة دون الوصول إلى هدف سليم.

إذن لا بد لأي موضوع أن يكون له أهدافا وآداباً محددة وواضحة بغية الوصول للحقيقة ولكي يحقق الفوائد المرجوة منه.

فوائد الحوار: إذا التزم الناس حدود الحوار وآدابه كما عرضها لنا القرآن الكريم في القصص القرآنية، كان لذلك فوائد إيجابية كثيرة، وسيأتي الحديث عن تلك الآداب بشيء من التفصيل، ومن فوائد الحوار:

١ــ أنه يتيح من خلاله تبادل الأفكار بين الناس وحل المشكلات.

٢ـــ ينشط الذهن ويقوي العقل والتفكير الصحيح، ويساعد أيضاً على التخلص من الأفكار الخاطئة.



٣ـ يساعد الحوار على التفاهم وتوليد أفكار جديدة، بل وفتح مجالات للتفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها[١].

هذه الفوائد وغيرها يمكن أن تحقق الغاية المرجوة من الحوار، ولكن هناك الكثير من الضوابط والآداب التي يجب الحرص عليها والتزامها بين المتحاورين[٢]، وهذا ما سنبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: أدب الاختلاف في الإسلام.د/ طه جابر العلواني. ص٢٥، ط دار الغرب الإسلامي.بيروت- لبنان سنة١٩٧١م.

(٢) هناك تداخلاً بيناً وتقارباً بين الأصول والآداب، فقد يكون في الأصول ما هو أدب يساعد في إنجاح الحوار؛ ولذلك فإن الإشارة هنا إلى بعض الآداب المهمة، أما أهم الأصول فهي: أن يراد بالحوار وجه الله تعالى، أي إظهار الحق والوصول إلي، والعلم بالموضوع، والتكافؤ بين المتحاورين، وتحديد موضوع الحوار ونقطة الاختلاف، للمزيد راجع: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.د/ طه عبد الرحمن. ص٧٤،ط٢ المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، المغرب سنة٢٠٠٠م، وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. عبد الرحمن حسن حبنكة ص١٦١ وما بعدها، ط٧ سنة ١٤٢٥هـ.

المبحث الثاني

ضوابط الحوار العقدي في الفكر الإسلامي

للحوار أهمية بالغة في الفكر الإسلامي، فهو السبيل لضبط الاختلاف المذموم وتفعيل قيم التعاون والتآلف، وهو ركيزة أساسية في الدعوة إلى الله تعالى وهو السبيل لاكتساب العلم والمعرفة، كما أنه أداة للتفاهم مع الآخرين.

والتعامل والتفاهم مع الآخر يجب أن يكون له أسسه المنهجية التي تحكمه وتضبطه، وهناك ثمة ضوابط للحوار ينبغي لكل من يتصدى للحوار أن يراعيها ويلتزم بها، وقبل حديثنا عن تلك الضوابط نقوم بالتعريف لمعنى هذه الكلمة لغة واصطلاحا، وهي كالآتي:

الضوابط لغة: جمع ضابط، والضبط لغة: لزوم الشيء وحبسه(١).

أما في الاصطلاح: هو" حكم كلي ينطبق على جزئياته"(٢) ، والمراد بالضوابط هنا: المبادئ والأسس التي تنبني عليها الحوار؛ لذا جعل الإسلام أسس وضوابط لكل من يتصدى للحوار أن يراعيها ويلتزم بها، وتتمثل هذه الضوابط في الآتي:

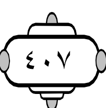
١ـ تحديد موضوع الحوار وهدفه:

ينبغي في بداية الحوار تحديد الموضوع ذلك أن الحوار لا يتحقق من فراغ، أما افتقاد هذا الجانب يؤدي إلى فشل الحوار، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك المواقف البشرية التي وقفت في وجه الدعوة الإسلامية، دون أن تكون لها معرفة سابقة بدعوة النبي (ﷺ) وأسسه، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ آل عمران: ٦٦، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ غافر: ٥٦ ، فهذه الآيات تثبت أن القرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون

---

(١) راجع: لسان العرب. لابن منظور مادة ضبط ج٣٤٠/٧ ، والمعجم الوسيط. لمجمع اللغة العربية ج٥٣٣/١.

(٢) المعجم الوسيط. لمجمع اللغة العربية ج٥٣٣/١.



الأنبياء أنهم يدخلون في معركة الحوار دون سلاح؛ لأنهم لا يملكون علما أو حجة، وليس لديهم إحاطة بالموضوع الذي يتحاورون فيه مما أدى بهم إلى التكذيب والإنكار(١).

٢ـ الاتفاق على أصول مرجعية للحوار :

يهتم حوار القرآن الكريم بإبراز الهدف الذي تدور حوله المحاورة مع التركيز على أن يكون الهدف واضحا ومحدداً ومقبولا من النفوس بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلي، حيث إن هذه النقطة التي نتحدث عن توقيتها تكون بعد انتهاء المحاورة وإظهار الحق، إما مع تسليم الخصم به وإما مع إفحامه وعجزه عن متابعة المحاورة.

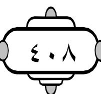
وفي حالة التسليم يغلب أن يعترف الخصم بالحق وأن يعتنقه، وإما في حالة الإفحام والعجز عن متابعة المحاورة فالغالب أن يبقى الخصم على خصومته وعند اللجاجة يجب الانتهاء عن الحوار.

ومن ثم فلا بد من تحديد الغاية من الحوار، ولا يمكن أن ينجح أي حوار إلا إذا انطلق من مرجعية متفقة بين الطرفين، ومن الممكن أن نأخذ مثالا لذلك: حوار سيدنا إبراهيم مع النمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ البقرة: ٢٥٨.

فقد حاج إبراهيم في ربه فقال إبراهيم صفة من صفات الله تعالى لا يشترك فيها أحد ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾، فإذا بالخصم يصل إلى اللجاجة بل الوقاحة فيقول أنا أحيي وأميت...، فحاجه إبراهيم بأية كونية لا يستطيع خروجا من هذا المراء بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

---

(١) الحوار في القرآن الكريم .محمد حسين فضل الله، ص ٥٠، دار الملاك للطباعة والنشر. لبنان سنة١٩٩٦م، وقارن: الحوار الذات والآخر. الشيخ/ محمد علي التسخيري ص٥٥، الناشر/ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب والأديان ط١ سنة٢٠٠٣م.



ٱلْمَغْرِبِ ﴾ فأفحم وبهت، وعندما يصل الأمر إلى حد الاستهزاء والسخرية فإن الأمر لا جدوى منه(1).

أما إذا كانت الأطراف تنتمي إلى دين الإسلام هنا ينبغي اتخاذ النصوص الشرعية مرجعيا، اقتداء بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ الشورى: ١٠.

أما إذا كان الطرف الآخر غير مسلم فينبغي الاعتماد على القواعد والأسس المشتركة بين الأديان والحضارات للإحاطة بموضوع الحوار، واستيعاب الفكرة التي يجري فيها الموضوع، فلا بد للمحاور المسلم أن يكون على اطلاع بكتب أهل الكتاب وكذا معرفة أفكارهم ومعتقداتهم؛ ليقف على ما عندهم من شبه وأفكار ومعتقدات فيفندها، ويبطلها بما لديه من حجج وبراهين ثابتة بأسلوب المجادلة الحسنى، وقد وضع الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- ثلاثة مبادئ للتعايش والحوار بين المسلم وغير المسلم وهي:

١- الاتفاق على استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله تعالى وجلاله، فأنا وأنت متفقان على أن الله قد أحاط بكل شيء علما، وأنه يتصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة.

٢- الاتفاق على أن الله يختار رسله من أهل الصدق والأمانة والكياسة.

٣- ما وجدناه متوافقا في تراثنا نرد إليه ما اختلف فيه، وبذلك يمكن وضع قاعدة مشتركة بين الأديان(2).

٣ـ العلم بموضوع الحوار:

من ضوابط الحوار الناجح العلم بموضوع الحوار ومسائله؛ لأن الجهل بالموضوع يفسد عملية الحوار ولا يكون للحوار أي قيمة، فلا يجوز للمحاور أن يخوض في عملية الحوار قبل أن يتعلم أدواته، فإن لم يكن يعلم

---

(1) انظر: بنات الأفكار في أدب المناقشة والحوار.د/ مجدي باسلوم.ص٥٦، ط/ دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.

(2) الحوار من أجل التعايش.د/ عبد العزيز التويجري. ص٩١دار الشروق بالقاهرة ط سنة١٤١٩هـ١٩٩٨م، وقارن: خلق المسلم.محمد الغزالي ص٧٧.

بالموضوع فإن المناظرة ستكون مضيعة للوقت، إذ يتبين للمتحاورين بعد فترة طويلة أنهما كانا يركزان حديثهما على محورين مختلفين أو وجهتين مختلفتين[1]، هذا وقد ذم الله تعالى هؤلاء الذين يجادلون في الله بغير علم قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ الحج: ٣ .

٤- الانطلاق في الحوار من نقاط الاتفاق:

لا بد أن ينطلق الحوار بين الطرفين أولا من نقاط متفقة ومشتركة بينهما ثم يتدرج منها إلى مواضع الخلاف لكي تحقق الأهداف من الحوار، فقد حاور القرآن الكريم الآخرين بأرضية متفقة بينهما، وقد اتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤ ، يقول الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآية: " المعنى نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد والتصرف فيه لإله واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يعرفنا على ألسنة أنبياءه ما يرضيه من العمل وما لايرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها [2].

إذاً يجب أن يستند الحوار إلى معايير يؤمن بها الطرفان " فإذا كان حواراً بين مؤمنين وملحدين كان المعيار هو العقل والحقائق العلمية الثابتة المتفق على التسليم بها، وإذا كان بين مؤمنين بوجود الخالق أضيف هذا إلى تلك المعايير، وأضيف إليه أيضا المحاكمة إلى حقائق دينية يؤمن بها كل من الفريقين، وإذا كانا منتسبين إلى دين واحد كالإسلام مثلا كانت المعايير مراجع دينهم الذي به يؤمنون"[3].

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني. ص١٢٤، منشورات الجمل.
(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا.ج٢٦٨/٣.
(٣) أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي. د/ محمد أحمد حسن. ص٢٩.

٥ـ التدرج والبدء بالأهم:

من ضوابط الحوار التدرج والبدء بالأهم حيث له أثر كبير في نفوس المتحاورين، وعدم التعميم في الأحكام، وتحديد المسائل والقضايا تحديداً دقيقاً، مع إقامة الحجة الواضحة على كل جزء في الحوار، حيث إن إقامة الحجج والبراهين مرة واحدة قد يؤدي إلى إرهاق الطرف الآخر، فلا يكون قادراً على الاستيعاب، ولا يكون قادراً على المناقشة وهذا مناف للمنهج العلمي في الحوار، ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ ﴾ الأنعام: ٧٦، وهذا على وجه التنزل مع الخصم، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ ﴾ ، فبطلت عبادة الكواكب، ثم القمر، ثم الشمس حتى وصل بهم إلى حد إبطال ما هم عليه من الشرك[1].

٦ـ إنصاف المحاور وعدم إيذائه نتيجة قوله أو معتقده:

والمراد: المحافظة على حق الطرف الآخر وإنصافه من كل وجه بقطع النظر عن صفته أو مركزه العلمي أو الاجتماعي؛ لئلا تنقلب المحاورة إلى مكابرة، لذا نلاحظ أن المحاورة في القرآن الكريم من سماتها المحافظة على حق الخصم وإنصافه من كل وجه، فعلى المتحاورين التقيد بالقول المهذب البعيد عن كل طعن أو تجريح أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاورهم، وقد أرشدنا الإسلام إلى التقيد بهذه القاعدة في نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥، وقوله بالتي هي أحسن تشمل بعمومها الأساليب الفكرية والقولية[2]، وبهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أن تكون محاوراته على حالة أرقى وأحسن من الحالة التي يكون عليها من يحاوره أدبا وتهذيباً.

(١) أدب الحوار وقواعد الاختلاف. عمر بن عبد الله كامل.ص١٩، الناشر/ موقع وزارة الأوقاف بالسعودية، وراجع: أدب الحوار. عبد العزيز الخياط.ص٤٩.
(٢) أسلوب المحاورة. د/ عبد الحليم حفني ص٣٢، الهيئة العامة للكتاب.

وفي القرآن الكريم دعوة للمساواة بين المتحاورين في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤.

وقد أرشدنا القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى حكاية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أثناء محاورته مع المشركين كما حكاه القرآن الكريم : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ سبأ: ٢٤، فقد علم الله تعالى رسوله الكريم أن يقول للمشركين في محاورته معهم: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ وفي هذا غاية التخلي عن عدم إيذاء محاوره نتيجة معتقده، وقد قال بعض أهل العلم: " وقد علم أنه على هدى وأنهم على ضلال مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب ، فلم يقل أنا على هدى وأنتم على ضلال ."[1] .

٧ـ سلامة اللغة وحسن الأسلوب:

من ضوابط الحوار أن يسلك المحاور الأسلوب السهل حيث سلامة اللغة حتى يتمكن السامع من تصور الموضوع تصوراً واضحاً، فلا يصح أن يلجأ أحد طرفي الحوار إلى الكلمات الغامضة التي تحتاج إلى توضيح ولا تساعد على بيان وجهات النظر، فيجب أن تكون الكلمات والاصطلاحات معروفة عند الطرفين، ولا بد أيضا من تحديد المفاهيم وضبط الأحكام؛ لأن فهم الأمور فهما سليما يؤدي إلى الحكم الصحيح عليها إذ أن معظم الأحكام الخاطئة مرجعها إلى الفهم السقيم واستخدام لغة غير واضحة، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأنبياء كانوا على درجة عالية من البلاغة وحسن الأسلوب، وما ذلك إلا ليعينهم حسن البيان على تبليغ دعوتهم وحوارهم لأقوامهم، تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ إبراهيم: ٤ ، وهذا نبي الله موسى عليه السلام يطلب من الله تعالى أن يعينه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج٢٨٩/١٤، دار الكتب المصرية، ط٢ سنة ١٣٨٤هـ ١٩٨٤م.

في إفهام الناس من جهة البيان حيث قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ طه من ٢٥:٢٨.

وقد أكدت السنة النبوية أن البيان له تأثيره على السامع فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ": إن من البيان لسحرا) [(١)] ، كما ذكر د/ محمد سيد طنطاوي أن: " تحرير محل النزاع يؤدي إلى حسن الاقتناع، فالألفاظ متى تحددت معانيها والقضايا متى وضحت معالمها سهل الوصول إلى الاتفاق بين المختلفين، وظهر الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة، وتطمئن إلى صحته العقول السليمة"[(٢)].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وغير ذلك توجه كل محاورة إلى ضرورة الاعتناء باللغة وحسن الأسلوب في المحاورات.

٨ـ كذلك من ضوابط الحوار:

التسليم بالمسلمات وقبول النتائج، وإعلان الفريقين المتحاورين على التسليم بالأمور المتفق عليها، وعدم الإصرار على إنكار المسلمات، فالأصل في أطراف الحوار قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة المرجحة، فقد عاب القرآن الكريم أولئك الذين يتحاورون ولا يقبلون نتائج المحاورة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ الأنعام: ١١١.

إذن يجب أن يكون مقصد وغاية كل طرف من أطراف الحوار هو إظهار الحق والصواب في موضوع الحوار، حتى لو كان هذا الإظهار على

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري برقم ٥١٤٦، من فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٠/٢٥٣.

(٢) أدب الحوار في الإسلام. د/ محمد سيد طنطاوي. ص٢٣ ، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

حساب الطرف الآخر[1]، وفي هذا يقول الإمام الشافعي: "ما ناظرت أحداً على الغلبة ـ أي ما دخلت في مناظرة مع أحد لكي أتغلب عليه ـ وإنما لكي يتبين الحق" [2] .

٩ـ الالتزام بآداب الحوار:

من الضوابط الأساسية في الحوار الناجح الالتزام بآداب الحوار، فقد دعا ديننا الإسلامي إلى الالتزام بالآداب المرعية على من يريد المشاركة في أي حوار؛ لينجح بحول الله تعالى في تحقيق الأهداف المطلوبة.

فنعلم جيداً أن الهدف الأصلي من الحوار هو إقامة الحجة، ودفع الشبهات، والآراء، والأقوال الفاسدة، ولكي يتحقق هذا يجب أن يلتزم المتحاورين حدود وآداب الحوار كما عرضها القرآن الكريم، ويجب أولا أن يضع في حسبانه أن المجادلة الجيدة هي التي يقصد بها المحاور وجه الله تعالى، وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أهم الأسس التي تبني عليها آداب الجدل والمجادل فقال:" إن من أدب المجادل الذي يقصد بجداله وجه الله وإحقاق الحق أن يكون جداله مع خصمه في خلوته لا في حفل جامع فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك للحق..." [3] .

هذا وقد وضع علماء أدب البحث والمناظرة أيضاً جملة من الآداب التي يجب إتباعها بين المتناظرين حفاظاً على سلامة الحوار الجيد وتحقيقا للغرض منه، ومن أهم هذه الآداب التي ينبغي الالتزام بها ما يلي:

أهم آداب الحوار:

١ــ الاحترام المتبادل: يجب على الشخص المحاور أن يحاور بِأسلوب حسن بعيد عن التجريح والإساءة للطرف الآخر، فلا يتعمد أن يوقعه في

---

(١) أدب الحوار في الإسلام. د/ محمد سيد طنطاوي. ص٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي الطوسي ج٤٤/١، الناشر/ دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي الطوسي ج٤٤/١، الناشر/ دار المعرفة ـ بيروت.

الإحراج و يتحداه، كما يجب عليه أن يتحلى بالأدب واللباقة أثناء الحديث، وأن يبتعد عن السخرية وإثارة غضب الطرف الآخر والاستهزاء به، كذلك ينبغي أن يعبر عن مراده بإخلاص وتجرد وأن يحادث المستمعين كأنه واحد منهم، وعليه دائما إظهار الرفق واللين، ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظ الغليظ حتى لو كان خير الناس، كما قال عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران: ١٥٩.

والمحاور الناجح هو الذي يلتف الناس حوله لتحليه بالرفق واللين والاحترام، كما كان سيدنا محمد ﷺ نموذجاً مثالياً لاستخدام الرفق والاحترام في الحوار.

إن الأصل في النقاش والحوار أن يكون للرأي أو للقضية وعرض ذلك على ميزان الشرع ثم العقل، بغض النظر عن القائل سواء كان الحوار مشافهة أو كتابة أم غيرهما[1] ، وما عليه إلا أن يتحدث بروح الناصح الأمين وأن يبتعد عن معاني الاستعلاء والترفع المشين، قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ الشعراء: ٢١٥.

٢ـ إبراز الحقائق الثابتة في الحوار:

أوجب الإسلام على الأطراف المشاركة في الحوار توخي الصدق والتثبت من صحة ما يقال، وهي مسئولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقي من جانب آخر، أما مسئولية المتحدث فهي تحري الصدق فيما يقول، وأما مسئولية المتلقي فهي ألا يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقومه في ضوء مجموعة من المعايير، ومن أهم تلك المعايير شخصية المتحدث وأخلاقه ومدى قوة الحجج والبراهين التي يذكرها فيما يقول[2]، قالت تعالى:

---

(١) فنون الحوار والإقناع. محمد ديماس السويدي ص١٤٥، الناشر/ دار ابن حزم للطباعة والنشر سنة١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق. ص١٥٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦.

ومن هنا فقد حارب الإسلام الإشاعات الكاذبة التي ينشرها المتحاورون مع غيرهم عن سوء نية، بوسائل متنوعة وأساليب مختلفة ومنها تغليب حسن الظن عن سوء الظن، قال تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ ﴾ النور: ١٢، وعلى الإنسان تغليب المنطق السليم بالحجة القاطعة.

٣ـ **الإخلاص**: على المتحاور أن يكون مخلصاً ولديه هدف واضح من الحوار وهو الوصول للحقيقة، بعيداً عن الرياء وإظهار النفس أمام الآخرين، وعليه أن يوقف الحوار إذا بدأت حالة الخصام والتنازع وذلك للحفاظ على آداب الحوار.

٤ـ ومن الآداب انتظار كل منهما الآخر حتى يفرغ من كلامه، وقد أعجبني في ذلك موقف النبي (ﷺ) من عتبة بن ربيعة حيث قال:" يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم..، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال عليه السلام: قل يا أبا الوليد. أسمع فقال يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا. وإن كان هذا الرأي يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه من أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه قد فرغت يا أبا الوليد . قال نعم قال فاسمع مني ، فقرأ رسول الله (ﷺ) أول سورة فصلت"[1].

فانظر أيها القارئ كيف استمع الرسول (ﷺ) لخصمه فأحس الاستماع حتى إذا أتم كلامه بدأ يسرد عليه حجته حتى أفحمه، ورجع إلى قومه وقال

---

(١) انظر: السيرة النبوية. ابن هشام ص٢٩٣. من المكتبة الإسلامية، وراجع: عبقرية محمد. عباس محمود العقاد ص٢٠٣.

لهم: لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

٥ـ ومن الآداب التي ينبغي الالتزام بها: أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدم ترجيحاً لوجهة نظره أو لمذهبه؛ حتى يكتشف شيء آخر يضعف دليله ويجعله غير صالح للترجيح، والإصرار على الرفض مكابرة ممنوعة ومرفوضة، وليحذر من أن يقاطع خصمه حتى لا تتحول المناظرة إلى ما يشبه المصارعة الحرة التي ليس لها قيود ولا ضوابط وهذا جدال محظور ومذموم [١]، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي: "فينبغي لمن لزمته الحجة ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصبر إلى موجباتها؛ لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق وإتباع تكاليف الشرع" [٢].

ويشترط في أي حوار وجود نوع من الديمقراطية؛ فهي النظام السياسي الوحيد القائم على الحوار وشروطه ومبادئه القائمة على الجدل والمناقشة والمناظرة التي تبتعد عن أي حتميات أو تأكيدات، وبعبارة أخرى لا بد أن نفرق بين ما هو مجمع عليه من قبل أطراف الموقف التحاوري، فأي حجة مقنعة لأنها صحيحة وليست صحيحة لأنها مقنعة، وهنا يزدهر التفكير الجدلي في الحوار [٣].

نعم، الحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الإيجابيات والسلبيات في ذات الوقت، ويرى العقبات ويرى أيضاً إمكانيات التغلب عليها، وهو حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطى لكلا الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.د/ طه عبد الرحمن. ص٧٤، المركز الثقافي العربي ط٢ سنة٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه. أحمد بن علي بن ثابت البغدادي. تحقيق/ إسماعيل الأنصاري. ج٥٧/٢، الناشر/ دار الكتب العلمية. بيروت ط سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) الحوار مع الغرب. آلياته ـ أهدافه ـ دوافعه. د/ منى أبو الفضل وآخرون ص٧٧. ط١ دار الفكر بدمشق سنة ٢٠٠٨م.

ويحترم الرأي الآخر ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر وآداب الخلاف وتقبله.

هذه ضوابط وآداب الحوار وهي لازمة ومهمة ليكون المحاور على بصيرة وبينة واضحة عندما يدخل في محاورات ومناقشات مع غيره، فيكون ثابت الجأش واضح المنهج في طلب الحق وسحق الباطل.

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية عقدية من الحوار في الفكر الإسلامي

حفل التاريخ الإسلامي بالكثير من المناظرات التطبيقية لضوابط الحوار في الفكر الإسلامي، والتي وقعت بين علماء الإسلام وأصحاب الديانات الأخرى، وبين الفرق الإسلامية وأرباب المذاهب العقدية كأهل السنة والمعتزلة والشيعة والخوارج، وكذلك ثمة محاورات في الفقه الإسلامي بين أئمة المذاهب الفقهية المتنوعة تخبرنا بمدى رحابة الفكر الإسلامي وتراثه، وفيما يلي نتعرض لبعض النماذج التطبيقية لهذه الحوارات، ومن أهمها الآتي:

أولا: حوار ابن عباس مع الخوارج[1]:

من المعلوم لدينا أن الخوارج قد انفصلوا في جماعة كبيرة من جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أثناء عودته من صفين بالكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفا، وحدد في رواية باثني عشر ألفا، وفي رواية أخرى بأنهم أربعة عشر ألفا، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل.....

وسار علي رضي الله عنه وأرضاه بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير المؤمنين للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مما يعني

---

(١) الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب بعد التحكيم بينه وبين معاوية، ولقد غالوا في آرائهم وجنحوا إلى تكفير معظم صحابة رسول الله ﷺ، ولقد استباحوا دماء المسلمين وأعراضهم حتى إنهم كانوا لا يتعرضون لأهل الكتاب والمشركين تعرضهم للمسلمين، ولقد ناظرهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

انظر: تاريخ بغداد. أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. تحقيق/ بشار عواد معروف. ج١/١٦٠، الناشر/ دار الغرب الإسلامي ط١ سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، والبداية والنهاية. لابن كثير. تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ج٧/٢٨٠، الناشر/ دار هجر للطباعة والنشر سنة١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

انفصالهم فعليا عن جماعة المسلمين، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس لمناظرتهم، ولقد ناظرهم ابن عباس رضي الله عنه وروى بنفسه تلك المناظرة، فقال:(قال علي لا تقاتلوهم: أي الخوارج: حتى يخرجوا فإنهم سيخرجون، قال: أي ابن عباس ـ قلت يا أمير المؤمنين: أبرد بالصلاة، فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلمهم، فقال: أخشى عليك منهم، قال ابن عباس: وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذي أحداً، قال: فلبست أحسن ما يكون من الثياب اليمنية وترجلت، ثم دخلت عليهم وهم قائلون لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ الأعراف: ٣٢.

وقلت: ولقد رأيت رسول الله (ﷺ) يلبس أحسن ما يكون من الثياب اليمنية، فقالوا: لا بأس، فما جاء بك؟ فقلت أتيتكم من عند صاحبي وهو ابن عم رسول الله ﷺ وصاحبه، وأصحاب رسول الله ﷺ أعلم بالوحي منكم، وفيهم نزل القرآن أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم، فما الذي نقمتم؟ فقال بعضهم ناهياً: إياكم والكلام معه إن قريشاً قوم خصمون، قال: تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزخرف: ٥٨.

وقال بعضهم: كلموه، فانتحى لي منهم رجلان أو ثلاثة، فقالوا: إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا، فقالوا: بل تكلموا، فقالوا: ثلاث نقمناهن عليه: جعل الحكم إلى الرجال، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الأنعام: ٥٧، فقلت: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأرنب وفي المرأة وزوجها ، إشارة إلى قوله تعالى: فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ المائدة: ٩٥ ، وقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ النساء:٣٥.

فالحكم في رجل وامرأته أفضل أم الحكم في الأمة يرجع بها ويحقن دماؤها ويلم شعثها؟ قالوا: نعم، قالوا: وأخرى محا نفسه أن يكون أمير المؤمنين، فأمير الكافرين؟ يقصدون بكلامهم هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. يقول ابن عباس: فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت من كتاب الله عليكم وجئتكم به من سنة رسول الله (ﷺ) أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: قد سمعته أو أراه قد بلغكم أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله (ﷺ)، فقال النبي لعلي: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ﷺ)، فقالوا:

لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال رسول الله (ﷺ): امح يا علي، أفخرجت من هذه؟ قال ابن عباس: وأما قولكم: قتل ولم يسب ولم يغنم في معركة الجمل وصفين. أفتسبون أمكم ـ أي عائشة ـ وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: نعم، فقد كفرتم بكتاب الله وخرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين، يقول ابن عباس: وكلما جئتهم بشيء من ذلك أقول: أفخرجت منها؟ فيقولون: نعم، قال: فرجع منهم ألفان وبقى ستة آلاف)[1].

وهذه المناظرة فيها الكثير من الفوائد حيث نرى أن ابن عباس قد أوتي من فهم عميق، وبصيرة مستنيرة، وحسن مناظرة أن يقنع ألفين من الخوارج بالعودة إلى طريق الإسلام، والكف عن الخروج على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك لأنه التزم بآداب الحوار وضوابطه، ويمكن إجمال الفوائد المستفادة من هذه المناظرة في الآتي:

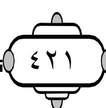
١ـ حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله ابن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقرآن، ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم وهو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه، هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر.

٢ـ جواز مناظرة أهل الباطل، من المبتدعة والكفرة؛ بل واستحباب أو وجوب ذلك، إذا كان هناك مصلحة متحققة.

٣ـ الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ) ، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه، حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه (ﷺ) ما يرد قولكم

---

(١) أخرجه ابن عبد البر ج١٨٣٨/٢، في جامع بيان العلم وفضله وأصله في سنن أبو داوود ج٤٤٣/٢ كتاب اللباس، باب لباس الغليظ برقم ٤٠٣٧.



أترضون؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم بداية المناظرة.

٤ـ إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[١].

٥ـ أهمية التخطيط والتنظيم والتفكير في الدعوة إلى الله تعالى، فابن عباس رضي الله عنه تعمد لبس أحسن الحلل وأجملها قبل أن يأتي الخوارج.
٦ـ حسن التوكل على الله، واستحضار مشيئة الله القاضية على كل شيء، كما قال ابن عباس لعلي رضي الله عنهما لما قال له علي: أخافهم عليك، قال ابن عباس: كلا إن شاء الله [٢].

ذلك نموذج تطبيقي لضوابط وآداب الحوار في الفكر الإسلامي مع الفرق الضالة والمنحرفة عندما تشكك الناس في عقيدتهم وتعيث في الأرض فساداً، فكان لزاما أن يكون من بين المسلمين من يستطيع بكل ما أوتي من علم وفهم عميق أن يحاورهم ليعودوا إلى الفكر الإسلامي الصحيح.

ثانيا: الجدال مع أهل الكتاب:

أ : أهمية الجدال مع أهل الكتاب والغاية منه:

تأتي أهمية الجدل مع أهل الكتاب في أن الإسلام جاء مصححا لما حدث من تغيير وتبديل في الكتب المقدسة خاصة فيما يتعلق بالعقائد، وكان من الطبيعي أن يحدث هذا الموقف العقائدي جدلا دينيا تتضح أهميته على سبيل المثال، فيما يلي:

---

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله والاستفادة منه في العصر الحاضر.د/ سليمان بن قاسم بن محمد العيد، ص٣٩٩، الناشر/ دار الوطن سنة١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.
(٢) الخوارج نشأتهم وصفاتهم ـ عقائدهم وأفكارهم. د/ علي محمد الصلابي ص٢١، الناشر/ دار المعرفة بيروت سنة٢٠١٤م .

١- توضيح الدور الذي لعبه الجدل في الدعوة إلى الإسلام؛ حيث إن المبدأ الإسلامي في الدعوة هو قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥.

٢- أنها تعكس روح التسامح الديني الذي يكفله الإسلام لغير المسلمين عامة، ولأهل الكتاب بصفة خاصة؛ إذ يعطيهم حق الدفاع عن عقائدهم والاحتجاج لها، وأكثر من ذلك يضمن لعقائدهم حرية التعبير عن موقفهم من الإسلام، تلك الحرية التي لا تجد لها مثيلا في أي نظام عقائدي قديما أو حديثا[١].

٣- الجدل الإسلامي لليهود والنصارى يكشف عن طبيعة العقائد الإسلامية وغير الإسلامية، ويدل على أن كثير من عقائد أهل الكتاب لا يؤيدها البرهان، وقد اعترف بذلك بعض علماء النصرانية في مؤلفاتهم الجدلية، فيذكر الصفي بن العسال[٢] قوله في كتابه بعنوان: الصحائح في جواب النصائح: أن العقائد المسيحية غير برهانية وينقل عن بولس اليهودي قوله: " إنا لم ندعكم بحكمة الكلام، وإلا لأبطلنا صلب المسيح [٣].

٤- الجدل الإسلامي مع اليهود والنصارى كشف عن روح العدالة والتسامح والغيرة لدينهم وحسن التعامل مع الناس جميعا وذلك باعتراف بعض علمائهم، فمنها على سبيل المثال ما قاله روبرسن في كتابه "تاريخ شارلكن": " إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم لامتشاقهم لنشر دينهم ، تركوا من

(١) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس.ص٦٣، وراجع: خلق المسلم.محمد الغزالي.ص٧٦وما بعدها.ط نهضة مصر سنة٢٠٠٣م.

(٢) هو: الصفي أبو الفضل بن العسال ت.١٢٦٠م، وأولاده العسال عائلة نصرانية شهيرة عاشت في مصر في القرن الثالث عشر الميلادي.راجع: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب هامش ص٦٤.

(٣) المرجع السابق ص٦٤ نقلا من الصحائح في جواب النصائح للشهداء ص٢٢ ط١٤١٣هـ.

لم يرغبوا فيه أحرارا مع التمسك بتعاليمهم الدينية"[1]، وكذلك ما قاله د/إدوارد غالي الدهبي في كتابه: "معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" حيث اعترف بسماحة الإسلام وبفضله قائلا: " لقد استخلصت من دراساتي وقراءاتي الشخصية أن الإسلام يرفض العنف، وأنه دين العدالة والمساواة والرحمة وحسن المعاملة للبشر جميعا، وخاصة أهل الكتاب منهم [2].

٥- الجدل الإسلامي لليهود والنصارى يكشف عن البراعة المنطقية والعقلية لعلماء المسلمين، فقد أجادوا الجدل بالحجج المنطقية مع المخالفين بوصفهم علماء في العقائد والملل، ومنها مثلا ما كتبه ابن قيم الجوزية وكان على معرفة تامة بعقائد أهل الكتاب ،ومنها كتابه: "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

٦- الجدل الإسلامي مع غير المسلمين وأهل الكتاب بصفة خاصة يكشف عن الوجه المشرق للفرق الإسلامية من أشاعرة ومعتزلة وغيرهم؛ حيث خلف لنا علماء هذه الفرق مؤلفات جدلية كثيرة استطاعوا بها الدفاع عن الإسلام، وقد كان الجدل مع أهل الكتاب سببا في نشأة علم الكلام [3].

ب : حوار ابن حزم الأندلسي مع أهل الكتاب:

من النماذج التطبيقية للحوار في الفكر الإسلامي حوار ابن حزم الأندلسي مع أهل الكتاب.

نجد أن الجدل الإسلامي لأهل الكتاب بالأندلس يمثل حلقة مهمة من تاريخ الجدل بين الأديان الثلاثة (اليهودية والنصرانية والإسلام).

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا.د/ مصطفى السباعي ص٩١، الناشر/ دار الوراق للنشر والتوزيع ـ المكتب الإسلامي ط١ سنة١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.

(٢) انظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.د/ إدوارد غالي الدهبي.الناشر/مكتبة غريب بالقاهرة ط١سنة١٩٩٣م.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد. للغزالي.تعليق وشرح د/ عبد العزيز سيف النصر. ط١ سنة١٤١٤هـ١٩٩٣م.

وقد تعددت مظاهر هذا الجدل بين مناظرات ومؤلفات، تعرضت لشتى الاختلافات العقائدية بين الإسلام وكل من اليهودية والنصرانية، وكان القرآن الكريم والتوراة والإنجيل محل بحث ودراسة لدى الكثيرين من علماء الإسلام في الأندلس من أمثال ابن حزم الأندلسي[١].

فقد أولى ابن حزم الأندلسي أهمية كبيرة لكتاب الله تعالى في نقده لعقائد أهل الكتاب ورأى أن الله عز وجل قد نص في كتابه الكريم على أصول البراهين، التي استفاد منها في جدله لأهل الكتاب، وهناك بعض الآيات التي توضح كيفية الجدل بين المسلمين وأهل الكتاب، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦ ، وقوله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥.

منهج ابن حزم في مناقشة أهل الكتاب:

نجد أن ابن حزم عندما تعرض لتوضيح موقفه من التوراة والإنجيل، اللذين بيد اليهود والنصارى رأى أن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بتصديقه صدقه، وما جاء فيها بتكذيبه أو أظهر كذبه، وما لم يأت بتصديقه نص ولم يظهر كذبه توقف ابن حزم في قبوله[٢].

أيضا قد استدل ابن حزم بأقوال الصحابة في ذلك، فمن أقوال الصحابة ما ورد أن كعب الأحبار سأل عمر بن الخطاب: (هذه التوراة أفاقرأها؟ فقال له عمر بن الخطاب: إن كنت تعلم أنها التي أنزل الله على موسى فأقراها

(١) لا يتسع المقام لذكر جميع المجادلات والمناقشات الكثيرة ؛ لذا اخترنا جدل ابن حزم مع أهل الكتاب في الأندلس لتكون نموذجا على الجدل القديم، راجع: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس.د/ خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي.ص٦١.دار قباء للطباعة والنشر سنة ٢٠٠١م.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل. لابن حزم الأندلسي ج٣١٩/١.ط١ المطبعة الأدبية بالقاهرة.سنة١٣٢٠هـ.

آناء الليل والنهار) وعلق ابن حزم على هذا الموقف العمري قائلا: (فهذا عمر لم يحققها) [(١)] ، ويمكن أن نجمل الطريقة التي انتهجها ابن حزم في حواره مع أهل الكتاب في الآتي:

١ـ كان ابن حزم يبتعد عن النصوص الغامضة المعنى ويلتمس لأصحابها عذرًا، وإنما كان يلجأ للنصوص الواضحة التي وضح فيها الكذب بحيث لا يخفى على أحد.

٢ــ ومن منهجه في مجادلة اليهود أنه لا يترك شبهة يمكن أن تثور في الذهن إلا عرضها وأجاب عليها، فهو عندما ذكر نصا في التوراة جاء فيه: (إن الله تعالى قال لإبراهيم: أنا الله الذي أخرجتك من أتون الكردانيين لأعطيك هذا البلد حوزاً فقال له إبراهيم: يا رب بماذا أعرف أني أرث هذا البلد) [(٢)].

ويعلق ابن حزم على هذا النص بقوله: (حاش لله أن يقول إبراهيم ـــ رسول الله وخليله ـــ لربه هذا الكلام، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله حتى طلب على ذلك برهانا.

وهنا يورد ابن حزم اعتراضا ويجيب عليه حتى لا يترك مجالا للمماحكة ولا للشبهات فيقول: فإن قال قائل جاهل ففي القرآن أنه ــ أي إبراهيم ـ قال: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى) ...، قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب، أما طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى، فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له إلى رؤية الكيفية في ذلك فقط....) [(٣)] .

٣ـــ كان ابن حزم في حواره معهم يذكر الوقائع الإسلامية التي يوهم ظاهرها تشابها مع موضع نقده في التوراة ويذيل ما بها من لبس وغموض، مبيناً الفرق بينها وبين نصوص التوراة كما فعل عندما تحدث عن رواية

(١) المرجع السابق ج١/٣٢٠.

(٢) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان.د/محمود علي حماية ص٢٥٠ نقلا من سفر التكوين ج١٥/٧،٨.

(٣) المرجع السابق ص٢٥١.

التوراة في نسبتها لعب المصارعة إلى الله تعالى مع يعقوب.. [١]، هنا يورد قصة ركانة بن عبد يزيد الذي تصارع إلى رسول الله ﷺ، وينتهي منها إلى ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه في جزيرة العرب، ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفا بالقوة المفرطة وقد دعاه إلى الإسلام، ولكن ركانة قال له: (إن صرعتني أمنت بك) ورأى أن هذا من المعجزات، فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك فصرعه للوقت وأسلم ركانة بعد مدة فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق ولكل مقام مقال[٢].

٤ـ ومن منهجه في مجادلة النصارى: فهم الأناجيل على ظاهر الألفاظ ـــ كما تدل عليه اللغة ـــ وعدم اعترافه بتأويل الكنيسة وأحبارها، إذ يرى في ذلك نوعا من الخداع والتضليل[٣].

٥ـ التركيز على العقائد في مناقشة النصرانية؛ لأنه ليس في الاشتغال بالأحكام الشرعية شيء يوجبه العقل أو يمنعه بل كلها من الممكن، فإذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته وجب قبول كل ما أتى به كائنا ما كان من الأعمال[٤].

ومن هنا نجد دور علماء المسلمين البارز في الحوار وعلى رأس هؤلاء الإمام ابن حزم الأندلسي والذي يعد من رجال الجدل المشهورين بمناقشاتهم الجدلية مع أهل الفرق الأخرى من أشاعرة ومعتزلة وشيعة وغيرهم، وكذلك مع أصحاب العقائد الأخرى من يهود ونصارى وملحدين ومشركين؛ ودليل ذلك ما خلفه لنا من مؤلفات مشهورة في هذا الميدان، مثل كتابه الفصل والذي يظهر له أن هذه الدراسة كانت ثمرة لمحاورات طويلة ومناظرات متعددة بينه وبين غيره من أصحاب المذاهب والأديان الأخرى.

---

(١) الفصل ج١/١٤١.

(٢) الفصل ج١/١٤٢.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام .لابن حزم الأندلسي. تقديم. د/ إحسان عباس ج٨/١٧ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ط١ سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٤) الفصل ج١/١٠٣ ، وابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان د/ محمود علي حماية ص٢٦٣.

ولا شك أن ابن حزم قد استفاد الكثير من مجادلة النبي ﷺ مع أهل الكتاب، وبالضوابط التي سلكها (ﷺ) معهم وخاصة مع نصارى نجران في محاولة إقناعهم وجعلهم يرجعون إلى الحق، وهذه دروساً رائعة في ضبط الحوار مع الأخر، ومن أهمها بناء المفاهيم الصحيحة حيث كان الانحراف شائعا لدى كل من اليهود والنصارى وغيرهم من مشركي العرب، ولذا كان من الأهمية أن نجمل مدى أهمية الحوار والجدال مع أهل الكتاب فيما يلي:

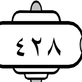
ثالثا: الجدل بين الفرق ونشأة علم الكلام: من النماذج التطبيقية للحوار في الفكر الإسلامي الجدل بين الفرق ونشأة علم الكلام.

لم تكن فترة الدعوة الإسلامية - صدر الإسلام- تعرف أي نمط من أنماط الجدل الكلامي، لكن فى ظل حكم بني أمية واندلاع العديد من الثورات ضدهم، وفى ظل تلك الفترة من أواخر القرن الأول الهجري بدأت ملامح علم الكلام فى الظهور.

كان قيام الفرق الكلامية بالبحث فى الآيات التي تتناول ذات الله تعالى وصفاته، وكذا الفعل والعدل الإلهي وعلاقة ذلك بالفعل الإنساني، وبفعل الاختلاف ظهرت فرق أشهرها فرقتا المعتزلة والأشاعرة، فالأولى اعتمدت على المنهج العقلي اعتماد كليا، والثانية اعتمدت على ما جاء في الكتاب والسنة النبوية.

وساهمت المجادلات الدينية التي استمرت طويلا بين علماء المسلمين وأهل الكتاب في نشأة علم الكلام الذي شهد قبولا من قبل بعض المسلمين من علماء أهل الكتاب، وقد بلغ من معرفة المسلمين المشتغلين بعلوم الكلام والفلسفة درجة عظيمة في ميدان الجدل، حتى أصبح الإمام جمال الدين أبى عمر عثمان بن أبى بكر المعروف بابن الحاجب علما بذاته، يؤلف فيه كتاب مستقل عنوانه (منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل) وهو كتاب كما يذكر د/ عبد الله العسكر في غاية الإتقان والبحث العقلي، وتدوير الأدلة النقلية لتطابق الفكر والعقل[1] .

(١) الجدل الديني في الأندلس.د/ عبد الله العسكر.من موقع جامعة الملك سعود سنة١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

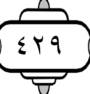


ويمكن القول أيضاً بأن من الأسباب الرئيسية لنشأة علم الكلام هو الرد على المبتدعة، الذين أكثروا من الجدال مع علماء المسلمين، وأوردوا شبهاً على ما قرره علماء السلف الأوائل، فاحتاج العلماء من أهل السنة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم، وحتى لا يدخلوا في الدين ما ليس منه، ولو ترك العلماء هؤلاء الزنادقة وما يصنعون؛ لاستولوا على كثير من عقول الضعفاء وعوام المسلمين، والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم، فأضلوهم وغيروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة، وقبل تصدي هؤلاء العلماء لهم لم يكن أحد يقاومهم، وسكوتهم هذا أدى إلى نشر كلام هؤلاء الزنادقة حتى اعتقده بعض الجاهلين، فكان لزاماً على علماء المسلمين أن يقوموا بالرد على هؤلاء من خلال تعلمهم هذا العلم ونبوغهم فيه؛ لأن إفحامهم بنفس أدلتهم أدعى لانقطاعهم، وإلزامهم الحق، فردوا عليهم وأبطلوا شبههم، وكانت طريقتهم في الرد هي إثبات العقائد الإسلامية، والاستدلال عليها بما هو من جنس حجج القرآن الكريم.

يقول الدكتور محمد الزحيلي في كتابه "الإمام الجويني إمام الحرمين" ما نصه:"كان الدافع لدراسة أصول الدين أولاً، وتأكيده بدراسة الفلسفات المتنوعة، هو الحرص على الإسلام والدعوة إليه، ورد شبهات الأعداء عنه، وتفنيد حجج الطاعنين به من الكفار والمشركين خارج الدعوة الإسلامية، والملحدين الذين انضووا تحت لواء المسلمين، وتستروا بالباطنية وغيرها من الفرق الضالة للدس على الإسلام، والتشكيك فيه، وإثارة الشبه بين المسلمين... فصار دراسة أصول الدين وعلم الكلام وتدريسه والتأليف فيه السبيل القويم أمام المسلمين، فانكب العلماء على دراسته وتدريسه والتصنيف فيه، وهو ما سلكه إمام الحرمين الجويني" (١).

فقد نشأ علم الكلام نشأة إسلامية تلبية لحاجات المجتمع الإسلامي، ولما كان علم الكلام هو العلم الذي يبحث في الأصول أو الأحكام الاعتقادية، مقرراً إياها بالحجج والبراهين النقلية وتوكيدها بالعقل بعد الإيمان بها بالقلب

(١) راجع: الإمام الجويني إمام الحرمين. محمد الزحيلي ص ٩٤وما بعدها، الناشر/ دار القلم.



والوجدان، ومدافعاً عنها ضد شبهات الخصوم، الأمر الذي حدا بالمتكلمين إلى دراسة هذه الشبهات والاعتراضات، وذلك حتى يتيسر الرد عليها ودفعها، ولعل هذا هو الذي أدى بالمتكلمين إلى دراسة عقائد الأديان السماوية الأخرى، وكذلك أصحاب الملل والنحل المختلفة وما أثاروه من شبهات واعتراضات ضد الإسلام، وذلك حتى يتيسر عليهم رد اعتراضاتهم وشبهاتهم. ولقد أنتج المتكلمون دراسات في مقارنة الأديان تشهد بسعة اطلاعهم ومعارفهم، كما تشهد أيضاً بمنهجهم العلمي في الدفاع عن الإسلام ضد المخالفين.

ومن هنا اختلط بعلم الكلام بعض المباحث، استعانوا بها في عملية الرد على شبهات الخصوم، وكان ذلك أمراً ضرورياً لأن أفضل وسيلة لدفع الخصوم هو أن يكون هذا الدفع بوسائل الخصوم التي اعتادوها.

وقد صرح أحد أئمة الأصول في المغرب الإسلامي وهو الإمام يوسف بن محمد المكلاتي في كتابه "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" بأنه ليس أقوى من سلاح الخصم للقضاء على أسلوب الخصوم، طالما كان السلاح مشروعاً[١].

وعلى هذا لا يقدح في أصالة علم الكلام الإسلامي احتواؤه على بعض أساليب الخصوم، أو اشتماله على بعض مباحث الفلسفة؛ ذلك لأن هذا كله كان لغاية دينية نبيلة، وهي الدفاع عن الدين وتوكيد أصوله، كما لا يقدح أيضاً في كونه علماً دينياً من جملة العلوم الشرعية الدينية .

فلم يكن تعرف الأمة على هذه الأفكار ودراستها من باب الترف الفكري، ولا من باب الانصراف عن الكتاب والسنة، بل كان تعلم هذه العلوم ضرورة لمواجهة الأخطار التي تحدق بالعقيدة الإسلامية، فكان الخصوم يثيرون الشبهات العقلية حول ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته ورسله وملائكته وكتبه وقضايا الموت والبعث والحساب، إلى غير ذلك.

---

(١) لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول. لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، تحقيق.د/ فوقية حسين محمود ص١٥٤، دار الأنصار ط١ سنة١٩٧٧م.

ولم يكن المنهج القائم على نصوص الكتاب والسنة المجردة عن دعم الدليل العقلي لينجح في مواجهة هؤلاء القوم، فالحجج العقلية البحتة لابد أن تواجهها بنفس طريقتها وإلا ستصير فتن كبرى، فلجأ المسلمون إلى تعلم هذه العلوم وتدريسها والكتابة فيها، ونشأت مدارس كلامية مختلفة كالمدرسة الأشعرية والماتريدية، فلم يكن القوم مبتدعة في هذا (١).

وأثبتت المجادلات الدينية مع أهل الكتاب مقدار ما ساهمت به بعض الفرق الإسلامية مثل الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية من جهود فكرية وفلسفية للدفاع عن الإسلام والمسلمين(٢).

أيضا لا ننسى خصائص الجدل الذي تميز به أهل السنة والجماعة في مناقشاتهم وجدالهم، فقد كان أول هذه الخصائص والمميزات أنهم يرغبون في هداية الخصم ويتقربون بذلك إلى الله تعالى، وكانوا يحرصون على التقليل من الكلام ما استطاعوا، وكانوا يلتزمون بآداب المناظرة والجدل التي في الإسلام.

فنستطيع أن نقول أن أهل السنة والجماعة من خلال مؤلفاتهم العظيمة لم يبتعدوا عن المجادلات، بل بالعكس هم يجادلون ويناقشون ويوضحون الحق، ولكن لا يتصدى لذلك إلا المؤهل منهم، فهذا هو الجدل السلمي المحمود الذي نادي به الإسلام وأمرنا بإتباعه.

لا ريب أن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الحوار كما وردت في آياته يعتبر أنموذجاً يحتذى، وهو يعتبر صوراً صادقة للتطبيق العملي للحوار الناجع؛ فهو يخاطب الناس بكل الدلائل العقلية والبرهانية والجدلية والخطابية، وذلك لكي يلبي كل حاجات الناس العقلية ومواهبهم وقدراتهم.

---

(١) انظر: المنهاج إلى أصول الدين.د/ عثمان الصالح العلى الصوينع ص٢٨وما بعدها ط١سنة١٤١٤هـ١٩٩٤م.

(٢) راجع: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع.لأبى الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي.تحقيق/ محمد زينهم عزب.ص٣ مكتبة مدلولي بالقاهرة ط١سنة١٤١٣هـ١٩٩٣م.

هذه نماذج تطبيقية من الحوار في الفكر الإسلامي، وهي صور صادقة للتطبيق العملي للحوار الناجع، فقد حاول المتحاورون فيما سبق أن يخاطبوا الناس أو خصومهم بكل الدلائل العقلية والبرهانية والجدلية والخطابية.

المبحث الرابع

الحوار في العصر الحديث

تمهيد:

برزت على الساحة الثقافية في العصر الحديث جملة مصطلحات متقاربة ومتداخلة تشير إلى موضوع واحد، ومن هذه المصطلحات حوار الثقافات، وحوار الحضارات، وحوار الأديان، وحوار الإسلام والغرب، ويمكن تلخيص هذه المصطلحات بأن المقصود بها هو الاتصال بين الحضارات وتبادل الخبرات والمعارف فيما بينها، والوصول إلى صيغة مقبولة من الحوار بين الثقافات المتباينة، لا سيما بعد ما أصبح العالم كله أشبه بالقرية الصغيرة بعد تقدم وسائل الاتصالات في العصر الحديث.

ونرى أن مصطلح "الحوار الحضاري" أو ما يقابله من مصطلحات قديم قدم وجود الشعوب ذات الحضارات المتجاورة، بحيث كانت دائما تتبادل المعارف والخبرات والسلع وأنماط الحياة من سلوك، ومأكل، وملبس، وتقاليد المجتمع ...وغير ذلك[1].

ولولا تغاير الشعوب واختلاف الحضارات ما كان لشيء من ذلك أن يحدث، ومن أجل ذلك خلقنا الله سبحانه شعوبا وقبائل لنتعارف، ولو شاء الله تعالى لجعلنا أمة واحدة، ولكن حكمته تعالى اقتضت أن يجعلنا مختلفين، وأن نظل كذلك ربما من أجل التعارف وتبادل الخبرات والحوار.

وحين كانت العلاقات تضطرب بين هذه الشعوب المختلفة ويحدث الخلاف، كان يحدث أيضا بعدها الاتصال والتعارف والحوار؛ فتتحقق الأهداف نفسها بالوسائل المتناقضة.

(١) نقصد بالحوار الحضاري: طبيعة العلاقة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الأخرى بصفة عامة والحضارة الغربية الحديثة بخاصة سواء كان حواراً وصراعاً.انظر: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل. موسى إبراهيم الإبراهيم.ص٢١٠، دار الإعلام. عمان ط١ سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.

أما في العصر الحديث فقد اقترن ظهور مصطلح الحوار في الأدبيات السياسية والثقافية بتنامي حدة الأزمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وقد عرف آنذاك بالحرب الباردة، فكان الغرب ينادي بضرورة الحوار بين الأديان ثم بين الثقافات والحضارات، بينما كان الشرق بزعامة الاتحاد السوفيتي يدعو إلى التعايش السلمي بين الأمم والشعوب، ولكل مبرراته وغاياته(١).

وقد تطور هذا المفهوم للحوار في طبيعته وأهدافه عقب سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وتصاعد حدة الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي الأمريكي، نتيجة تصادم الإرادتين، واختلاف المصالح؛ فأثمر ذلك الدعوة إلى الحوار بين الإسلام والغرب، تارة على المستوى الديني" الحوار الإسلامي المسيحي"، أو "المشكلة الطائفية والغلو"، وتارة على المستوى الحضاري " الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب" ، وسنلقي بالضوء على هذه الموضوعات كما يلي:

أولا: المشكلة الطائفية والغلو(٢):

حين النظر في علاقة المشكلة الطائفية بمشكلة الغلو يتبدى للناظر أن وجود الطوائف المختلفة في المجتمع الواحد سواء أكانت طوائف عرقية أم طوائف دينية قد تكون سببا من أسباب عدم الاستقرار والصدامات ونحوها، إذ أن هذا الاختلاف يؤدى إلى إثارة أزمة الهوية بمعنى الإحساس بالانتماء والتميز عن الآخرين، والولاء لطائفة معينة، وعندما تتعدد هذه الانتماءات

---

(١) انظر : بنات الأفكار في أدب المناقشة والحوار. د/مجدي باسلوم ص١٧٠ وما بعدها.

(٢) الغلو معناه: الارتفاع في الشيء وتجاوز الحد فيه، ويعني أيضا المبالغة في تضخيم بعض الجوانب في الدين على حساب أخرى تصورا، أو ممارسة أو هما معا، ومن هذا التعريف يمكن القول أن العلة الجامعة عند كل غال أو مفرّط،هي سوء الفهم عن الله تعالى ورسوله، وسوء الفهم هذا يمكن إرجاعه إلى أصلين كبيرين؛ فنقول أنه بقدر امتلاك المكنة العلمية والشحنة الإيمانية تكون درجة تفاعل وتعامل الشخص مع النص. راجع: جمهرة اللغة لابن دريد ج٩٦١/٢، لسان الغرب لابن منظور ج١٣١/١٥.

وتتناقض ربما تصل في ظل عدم وضع ضوابط للعلاقات إلى الصدام والمجابهة.

ويشهد العالم في بلدان كثيرة مثل هذه الظاهرة من أشهرها: لبنان، ومصر، والسودان...ونحوها، ويمكن أن نبين أثر قضية الطوائف في إحداث الغلو من خلال بعض الجوانب نذكر منها ما ذكره الأستاذ/ عبد الرحمن اللويحق: في أن الحوارات حول موضوع الغلو تفرد لهذه القضية حيزاً كبيراً من البحث ففي ندوات: (المتطرفون ندوات ودوائر حوار) – على سبيل المثال- أطال المنتدون الكلام حول هذا الموضوع وعلاقته بالغلو حيث استأثر هذا الموضوع بنصيب كبير من الندوات[1].

ونرى أن تأثير قضية الطائفية في إحداث الغلو يمكن أن يحمل تبعاته المجتمع كله إذا لم تنضبط العلاقة مع غير المسلمين بالضوابط الشرعية.
وقد نهى القرآن الكريم عن الغلو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ النساء: ١٧١.

ونهى كذلك رسول الله (ﷺ) المسلمين عن الغلو فقال: (إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما أَهلَكَ من كان قبلَكمُ الغلوُّ في الدِّينِ) [2]، ووقع الغلو برغم ذلك، ووقع من النصارى إذ قالوا على الله غير الحق، غلو في المسيح.. فقالوا ابن الله، وقالوا ثالث ثلاثة.

ووقع من اليهود إذ قالت كذلك على الله غير الحق غلوا في عزير فقالوا ابن الله...وهكذا.

وقد عالج النبي ﷺ ما لمسه من ظواهر سلوكية فيها تشدد ظهرت في عهده، وحذر أصحابه من الغلو أشد تحذير وأرشدهم إلى إتباع السنة، ومن ذلك ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا،

---

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر.د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق جـ٦٢٠/٢، مؤسسة الرسالة ط٢ سنة١٤٢٠م، و يمكن مراجعة جوانب أثر قضية الطوائف في إحداث الغلو من خلال المرجع السابق ص٦٢١وما بعدها.

(٢) الحديث يوجد في: صحيح النسائي برقم٣٠٥٧، وصحيح ابن ماجة برقم ٢٤٧٣.

فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) إليهِم، فَقالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا، أَما واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي)(1).

ويمكن أن يكون الحوار من الملامح الرئيسة في المعالجة، فالمحاورة لأهل الغلو والابتداع وأهل الانحراف بشكل عام، سبيل من سبل كشف سبل الغلاة، ووقاية للناس من آرائهم وأقوالهم، وفيه فائدتان:

الأولى: كشف شبهات المنحرفين، التي أوقعتهم في الانحراف.

الثانية: إظهار عوار المنحرفين للناس، حتى لا يصغوا إليها أسماعهم، فيشاركوهم الانحراف.

وفي حياة السلف شواهد على هذه المناظرات ونتائجها، ومن أظهر الأمثلة على ذلك: مناظرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج، وأيضا مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه للخوارج(2).

ويذكر د/علي جريشة أن فرق الغلو انقسمت إلى ثلاث:

١ـ غلو في الفكر ٢ـ غلو في الاعتقاد ٣ـ غلو في المواقف

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، ورقم الحديث ٥٠٦٣ـ باب النكاح.

(٢) نذكر من نماذج غلوهم ما يتضح من مناقشتهم لابن عباس رضي الله عنه إذ سألهم ما تنقمون عليّ، قالوا ننقم عليك ثلاثا: ١ـ حكم الرجال والله يقول إن الحكم إلا لله . ٢ـ قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين لم يحل قتالهم، وإن كانوا كافرين فقد حل قتالهم وسبيهم. ٣ـ نحى نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. للمزيد راجع: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ص١٠٧. الدار العالمية للنشر والتوزيع، وانظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة.د/ علي جريشة ص٢٧٣. دار الوفاق للطباعة والنشر بالمنصورة.ط٤ سنة١٤٢٨هـ٢٠٠٧م

ولقد يكون أخفها هو الأخيرة؛ لأن غلو المواقف قد يكون نابعا من غلو الفكر، وغلو في الاعتقاد أحياناً، لكنه كثيراً قد ينشأ عن عوامل أخرى لا تتصل بفكر أو عقيدة، أو بعبارة أخرى قد تمليه ظروف يوجد فيها الإنسان تتسم بالقهر والضغط الشديد الذي يخرج الحليم عن حلمه... [(١)].

نعم، إن المطلع على مشكلة الغلو في الدين في العصر الحديث وما ألف فيها من كتب، يجد الحاجة ماسة إلى أن يكون للعلماء دورهم في الحوار، وتبيين القضايا بياناً شافياً، وذلك لعدة أمور، منها :

١ـ إن كثيراً من مظاهر الغلو في العصر الحديث ترجع إلى جهل الواقعين في الغلو مما يوجب كشف ذلك الجهل، و الحوار أحد الإجراءات المحققة لذلك.

٢ـ إن الشبهات التي يطرحها الواقعون في الغلو تحتاج إلى بيان؛ لكشف هذه الشبهات عن الغلاة أنفسهم، ولتحقيق حصانة للناس من التأثر بتلك الشبهات.

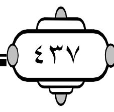
٣ـ إن هناك خلطاً شديداً في الدراسات والكتابات المتعلقة بهذه المشكلة، فقد عمد الناس إلى الخلط بين الالتزام بالدين، والغلو فيه، فأدخلت قضايا كثيرة في الغلو وهي ليست منه، أو هي مما وقع فيه الخلاف قديماً وحديثاً، وحين يقع الحوار تتم معالجة هذا الأمر ووضع القضية في نصابها، فيكون الحوار بمثابة المعالجة الشاملة لقضايا الغلو؛ إذ يتبين القدر الحقيقي من الغلو، كما تنكشف الشبه، ويتبين الخلط الواقع في مفهوم الغلو، وفي تصور مظاهره وأشكاله، وأسبابه، وسبل علاجه[(٢)].

فمن هنا كان لزاما على الجميع وبخاصة المختصين منهم القيام بدعوة غير المسلمين، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وتعريفهم بالإسلام من خلال وسائل الإعلام المختلفة، حتى تخمد نار هذه الفتن والتي يمكن أن يكون لها أعظم التأثير في مجتمعاتنا الإسلامية.

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة. ص٢٦٠.

(٢) الخطاب الديني ومعالجته لقضايا التطرف والغلو. د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق . نقلا من شبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢١م.



ثانيا: الحوار بين الأديان:

قام الحوار بين الأديان بمعناه الشرعي المطلوب عند الأنبياء الكرام في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم بطرق مختلفة وأساليب متعددة، والمسلمون هم أقوى الناس حجة وبياناً؛ لأن دينهم دين رباني موافق لعقل الإنسان ونفسه ونحن الآن في أمس الحاجة لذلك، ويرى د/ محمد خليفة حسن: أنه قد لجأ مؤرخو الأديان المسلمون إلى الحوار كوسيلة لجمع المادة العلمية الصحيحة، وكوسيلة تفسيرية لما لديهم من معلومات جمعوها من المصادر المختلفة لهذه الأديان، وبجانب هذه الفوائد المنهجية للحوار فإن القرآن الكريم قد جعله أساساً للتقريب بين الأديان على أساس من الاحترام والتعاطف المتبادل مع أصحاب الديانات الأخرى[1]، كما يتمثل في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ النحل: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ﴾ آل عمران: ٦٤، وغير ذلك من الآيات.

ولكن يذكر د/ عبد الرحيم السلمي: أن شعار " الحوار بين الأديان " أصبح مثقلا بكثير من المعاني والأفكار الباطلة التي تقدح في ذهن كل من يسمع به، ولا يصح أن ننفي المعنى الصحيح في الحوار بسبب استعمال البعض له في المعنى الباطل، ولكن المنهج القويم هو رد المعنى الباطل وإبراز المعنى الصحيح؛ خاصة إذا علمنا أنه يتعلق بأمر ضروري في دين الإسلام وهو الدعوة إلى الله تعالى[2].

والحقيقة أن المعنى الباطل والذي يتخوف منه الكثيرون في الحوار هو الخوف من التقريب بين الأديان[3]، فقد يكون الغاية الباطنة من وراء الحوار

---

(١) انظر: تاريخ الأديان. دراسة وصفية مقارنة. د/ محمد حسن خليفة. ص٢٦.ط سنة١٤١٦هـ١٩٩٦م.

(٢) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه) د/ عبد الرحيم صمايل السلمي ص٨.

(٣) لفظ التقريب أو التقارب مأخوذ من القرب، وهو أمر نسبي يتفاوت في حقيقته وتطبيقاته، وهذا المفهوم أوسع نوع من أنواع الحوار بين الأديان، ولعله أشهر مفهوم، والذي تعقد له المؤتمرات. انظر: المرجع السابق ص٢٦، وراجع: مقدمة إلى الحوار

بين الأديان هو التقريب، والكثير رفض هذه الدعوة (التقريب بين الأديان)؛ وذلك لأن من ورائها أحد أمرين:

أولا: احترام الأديان الباطلة، أو احترام ما عليه اليهود والنصارى من كتب محرفة وعدم الطعن فيها.

ثانيا: الاعتراف بصحتها وبأنها طريق إلى الله تعالى كالإسلام، ومعنى هذا أن كلا من اليهود والنصارى والمسلمين لا فرق بينهما، إذ كل منهم على دين صحيح.

وعلى هذا المعنى الخبيث قام عدد من علماء الأزهر بمعارضة فكرة الحوار بين الأديان معارضة شديدة ورفضت الكثير من الحوارات والمؤتمرات[1].

أيضا قرر المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث: رفض عبارة التقريب بين الأديان، والأولى استخدام كلمة أخرى مثل الحوار والاشتراك والتعاون، وبخصوص ذلك نبه المجلس إلا أنه إذا كان المقصود به إذابة الفوارق بينهما من أجل اللقاء في منطقة وسطى جمعا بين التوحيد والتثليث...، فذلك مما يأباه الدين الخاتم، قال تعالى﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ المائدة: ٤٩.

وقرر أيضا المجلس أن الحوار بين رسالة الإسلام والرسالات السماوية يكون الأمر فيه مقبولا على نحو قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥، وكذا تأسيا بسنة رسول الله (ﷺ) في الحوار مع نصارى نجران وغيرهم[2].

الإسلامي المسيحي.محمد السماك ص٩٢ ، دار النفائس بيروت لبنان ط١ سنة١٤١٨هـ١٩٩٨م.

(١) جريدة البيان الإماراتية بتاريخ١٧/١٠/٢٠٠١م. من موقع إسلام أون لاين.

(٢) من موقع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.البيان رقم٤ بتاريخ ٢٧/٦/٢٠٠٨م.

فإذا كان الحوار هو الدعوة إلى الله تعالى فهذا هو المعنى الصحيح، والواجب أن نبين لهم أصول الإسلام في وحدة الإلوهية والدعوة إلى الإسلام عن طريق المجادلة بالحسنى دون إكراه أو إجبار أو نيل من مشاعر المخالف، ومن أهم الأهداف التي يسعى الحوار الحضاري لتحقيقها:

١ـ تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية التي هي القاسم المشترك بين جميع الحوارات والثقافات، فالحوار الحضاري يسهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والأمم، وفي إزالة سوء التفاهم المتبادل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤.

فهذا النداء يشكل أساساً لتعزيز عقيدة التوحيد في مقابل الشرك وفي تعزيز القيم الإيجابية والإنسانية التي تقوم عليها الحضارات(١).

ولا بد من التركيز على أهمية دخول القيم الدينية إلى عالم المكتشفات العلمية، فكما أن الدين يشجع على تعاطي العلم، ويكون ذلك دون الاحتكام إلى القيم والأخلاق من شأنه أن يحول منجزات الحضارة المادية إلى آلة للتدمير والخراب، فلا بد من إدارة الحوار حول القيم الدينية الروحية والأخلاقية في الأديان.

٢ـ تصحيح معلومة خاطئة، فبعض الباحثين يتداول أحياناً أفكاراً مغلوطة عن حضارتنا الإسلامية، سواء في وضعها الاجتماعي أو خلفيتهما الفكرية المؤسسة للاهتمامات الاجتماعية، وتصحيح هذه الأخطاء يفرض علينا تبني الحوار كمسلك أساسي في التصحيح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، والآية الكريمة تحدد أمرين:

---

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي. محمد حسين فضل الله.ج٢٧/١، دار الملاك. بيروت ط٢ سنة١٤١٨هـ١٩٩٨م.

أولهما: هدف الحوار هو الدعوة إلى سبيل الله أي الطريق المؤدي إلى إقامة المنهج الرباني على الأرض.

وثانيهما: أسلوب الحوار ينبغي أن يكون بالحكمة مما ينبغي أن يكون الحوار الحضاري هادفا وموضوعيا يسعى إلى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاورون(١).

٣ـ تحقيق التواصل: وهو من أهم الأهداف التي يسعى الحوار الحضاري إلى تحقيقها، فقد عاشت البشرية وما زالت ويلات الحروب ومضاعفاتها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ لذلك فإن البشرية في حاجة ملحة إلى الحوار الحضاري لتحقيق التكاتف بين الشعوب وتجنب ويلات الحروب، فإذا تحقق الحوار الحضاري فإن الثمار والنتائج الطيبة سيذوق طعمها أبناء الحضارات المختلفة.

٤ـ وأخيراً من الأهداف التي يسعى الحوار الحضاري إلى تحقيقها: دعوة الإنسانية إلى قيم الحق العليا، فالمسلم يمللك المنهج الرباني الذي تقوم عليه الحياة الفاضلة، وهو أيضا مما يظهر سماحة الإسلام وتقبله للرأي الأخر في ضوء تلك القيم، فالإسلام رغم كونه دين الله تعالى وقد قامت على صحته وسلامته من العوج البراهين والمعجزات الخارقات، وخضعت له العقول السليمة والأفكار المتجردة عبر قرون متتالية، فهو لا يريد أن يفرض نفسه بالقوة والإكراه، بل يدعو إلى الحوار والاختيار على أساس الاقتناع(٢) ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ البقرة: ٢٥٦، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ الكهف: ٢٩، وهذا لا يعني بأي حال حرية الكفر والإلحاد.

---

(١) حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل. موسى إبراهيم الإبراهيم.ص٢١٥، الناشر/دار الإعلام الأردن سنة٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق.ص٢١٥وما بعدها بتصرف.

وأختم الحديث عن الحوار في العصر الحديث بما قاله التويجري: "بأن الحوار الحضاري هو النمط الأرقى من الحوارات التي تجري بين الفئات المثقفة من البشر، وهو لا يرتبط بشكل محدد ولا بصيغة معينة، ولا بمكان أو زمان، فلا بد أن يكون للعالم الإسلامي مشاركة فاعلة في أنماط الحوار الحضاري من موقع التميز الحضاري لهذه الأمة ذات الرسالة الإسلامية السامية "(١).

إذاً من الضروري أن يكون للحضارة الإسلامية مشاركة فاعلة ومؤثرة في جميع أنماط الحوار.

ثالثاً: الإسلام والغرب وضرورة الحوار:

إن الحديث عن الإسلام وعلاقته بالغرب يكسب أهمية خاصة في الوقت الراهن الذي يسعى فيه العالم بفعل عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية إلى التوحد والتكامل بين أرجائه بسبب التقدم العلمي والتكنولوجي، وكذلك نتيجة لحدوث طفرات هائلة في مجال تكنولوجيا الاتصالات، جعلت العالم أشبه ما يكون بقرية صغيرة، وأصبح يطلق عليها القرية الكونية، ولذلك أصبحت حاجة سكان تلك القرية إلى التفاهم أشد، وإلى الحوار حول القضايا الخلافية أكثر من أي وقت مضى؛ حتى تنعم البشرية في تلك القرية الكونية الصغيرة بالسلام والانسجام النفسي والاجتماعي بعيداً عن الحروب والخلافات والصراعات الدينية والعرقية والسياسية والاجتماعية التي تتوتر بها البشرية في مواطن متفرقة من العالم(٢).

وقد استخدم النبي (ﷺ) في حديث له هذا التصوير الرمزي الذي نستعيره هنا للموقف الراهن لعالم اليوم لكي نؤكد من خلاله على ضرورة التضامن العالمي بين الناس، وقد كان النبي ﷺ يرى أن القسم المتميز من مجتمع السفينة إذا لم يهتم بصورة كافية بالقسم الآخر المجرد من

(١) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي.عبد العزيز بن عثمان التويجري. ص٨٦، مجلة الإسراء فلسطين سنة١٤١٩هـ١٩٩٨م.

(٢) انظر: الإسلام والغرب. إشكالية الصراع وضرورة الحوار. د/ أحمد عرفات القاضي.ص١٠٩، مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة٢٠١٠م.

الامتيازات، فإن هذا القسم الأخير سوف يتسبب بقصد أو بغير قصد في إعطاب السفينة وبالتالي في غرق الجميع[1].

ونحن نطلق اليوم على الصراع الراهن في العالم مصطلح صراع الشمال والجنوب، والواقع أن العالم يحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى مثل هذا التضامن الشامل لإقامة نظام راسخ لسلام عالمي؛ فالعالم في حاجة إلى نظام سياسي يسعى لمراعاة حقوق كل الناس بمن فيهم الفقراء، وبغير ذلك لن يستطيع حل كل المشكلات التي تحاصره[2].

ونجد أن العالم الإسلامي شديد الاهتمام بكل المحاولات الرامية لاستقرار الجميع، ولكن هذا الاستقرار لن يحدث في نهاية الأمر إلا من خلال جهود مشتركة لكل الشعوب في الحوار وفي التعاون فيما بينها؛ وذلك لأن سيطرة بعض الشعوب المنفردة تقوم بالضرورة إلى تحطيم هذا التعاون.

فنجد مثلا أن الغرب الرأسمالي بزعامة الإدارة الأمريكية يسعى كما نرى ونطالع يوميا من خلال وسائل الإعلام المختلفة إلى تحطيم الإسلام والمسلمين بشتى الوسائل.

فالكل شاهد على ما يفعله الغرب وخاصة أمريكا في تعاملها مع المسلمين، وكذا محاولاتهم المستمرة في زرع الفتنة بين المسلمين وغير المسلمين خاصة المسيحيين، وهذا مما يثير النفوس بالعداوة عند المسلمين وعند النصارى مما يهدد بعدم الاستقرار وعدم وجود أمان[3].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١٣٢/٥.

(٢) الإسلام وقضايا الحوار.د/ محمود حمدي زقزوق ص٣٩ ترجمة.د/ مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

(٣) وليس ببعيد العنصرية الموجودة في العالم الغربي حيث نراها في غير محيط العالم الإسلامي، وتعد العنصرية أحد أسباب الفتنة، وأبرز أسباب الحروب والتفرقة، وهي من أشد الأمراض فتكا بالمجتمعات ولم يخل عصر منها، وليست المشكلة الحادثة حاليا بأمريكا ببعيدة عن سلوك الأمريكان والغرب العنصري في التفريق بين البشر، وتصنيفهم حسب ألوانهم وأجناسهم وأديانهم، وسلبهم على أساسها حقوقهم الإنسانية، ومحاربة كل من يخالفهم في العقيدة والدين، وقد دل على ذلك بطريق عملي وفعلي رفع رئيسهم

والغربيون عموما ينظرون إلى الشعوب الأخرى وخاصة الشعوب الإسلامية بمنظار التحدي والغلبة والتفوق الذهني والعلمي، وهذه التركيبة النفسية والتاريخية والدينية راجعة إلى تلقيهم تلك الثقافة الخاطئة على أيدي المستشرقين الحاقدين الذين شوهوا صورة الإسلام والمسلمين، فهم بذلك يستصغرون تلك الشعوب، والكثير من الأمريكيين يعلمون أولادهم الكراهية ضد المسلمين.

ووفق هذا ليس من الممكن أن نقيم حواراً حضاريا مع الغرب إلا إذا أعرض الغرب عن هذه الأهداف وتلك الآليات في حواره معنا، وفي هذا الاتجاه يرى د/ محمود حمدي زقزوق أن إقامة حوار هادف بين الإسلام والغرب مرهون بأن يتوقف الغرب عن معاملته السيئة للإسلام، وإساءة الظن به وبأصحابه.

ولا ريب أن الإسلام قد أسيء فهمه في الغرب، فلا جرم كانت الجهود العلمية المبذولة لبحث الإسلام موضوعياً خاليا ـ بقدر الإمكان ـ من الأحكام السابقة مهمة ومطلوبة.

ويضيف د/ زقزوق قائلا: وينبغي أن يكون البحث الإسلامي متصلا ـ بصفة خاصة ـ بالحاضر، أي يجب أن يكون متفتحا وقادراً على التغلب على المشكلات القائمة والقيام بالمهام الموكولة إليه بطريقة ابتكاريه في إطار الروح الإسلامي، وإذا كان هذا البرنامج الوحيد الممكن للبحث الإسلامي الذي يسعى إلى إحداث تقدم أصيل في المجتمع الإسلامي.

للإنجيل كدليل من ذلك (الإنجيل) أن هذا هو الذي جمعهم، وهو ما يناقض أفعاله وتصرفاته على الأرض والواقع في أمريكا، حيث محاربة الإسلام بصفة خاصة في جميع أنحاء الأرض وإساءة الظن بالمسلمين جميعا.

فهذا يبين ويوضح عنصريتهم مع من يدين بدينهم لاختلاف ألوانهم فماذا نتوهم أو نتوقع من تعاملهم مع المسلمين؟! فلا بد إذن من الحوار الجاد معهم ليتوقف الغرب من معاملته السيئة للمسلمين وإساءة الظن بهم، وتحقيق العدالة والمساواة بين البشر، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يفرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى.

ويتصل بذلك ما يمكن أن يطلب بحق من علماء الإسلاميات الغربيين الذين لا يعتنقون الإسلام ويدرسونه من الخارج، ويتمثل هذا الطلب في محاولة عرض الإسلام كما يتمثل في مصادره الأصلية وفي أفضل الأفهام الإسلامية، وعلى سبيل المثال: فإنه من الخطأ العلمي أن يقال: إن القرآن الكريم يعد طبقاً للعقيدة الإسلامي وحيا من عند الله تعالى أنزله على نبيه محمد (ﷺ) ، كما أنه من الخطأ العلمي أن يقال: إن الله هو إله المحمديين، وأن يوصف الإسلام بأنه المذهب المحمدي أو بأنه دين عدواني[1].

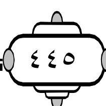
إذن فأساس الحوار بين الإسلام والغرب هو التفرقة بين الأفكار والمواقف، وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية، وكذلك لا بد في المجال الديني من التمييز بين العقائد والمعاملات، إذ يسع المرء أن يحافظ على آرائه، ومواقفه الوطنية وعقيدته الدينية، وفي الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه هذه الآراء والمعتقدات ألواناً من العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لكن شريطة أن تخلص النوايا في تحقيق الخير للناس جميعا دون تمييز.

والقرآن الكريم نفسه يدعو إلى التواصل مع الآخر ويحث عليه، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥ .

كما أكد الإسلام على حرية العقيدة وحرية الإنسان في ممارسة شعائر دينه المخالف للإسلام بحريه، فالإسلام حرم الإكراه في الدين وشدد عليه في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦، وبمثل هذا القول الواضح والصريح جعل القرآن الكريم الاختلاف في الدين قاعدة هامة من قواعد الحوار والتسامح في الإسلام.

---

(١) انظر: الإسلام وقضايا الحوار.د/ محمود حمدي زقزوق ص ٣٧، وقارن: الصلات الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب ص٢٣ وما بعدها.



وذلك هو الموقف الصحيح من الحوار مع الآخر وإقامة العلاقات معه شريطة ألا يكون من أحدهما اعتداء أو ظلم، وألا يكون من الطرف الثاني تفريط في عقيدته أو تنازل عن حقه؛ وذلك لكي يستقيم معنى التواصل والحوار والعلاقات المشتركة.

طرق الحوار:

رغم صعوبة ذلك مع الغرب فإنه لا بديل ولا غنى عن الحوار معه، خاصة وأن هناك نقاط ضوء تدعو إلى التفاؤل، أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ آل عمران من ١١٣:١١٥.

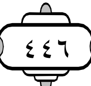
إذن فهناك طرقاً كثيرة مختلفة للحوار، ولكن كل محاولة للحوار لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا إذا توافرت النية الصادقة والإرادة المخلصة، ونحن جميعا مسئولون عن العالم الذي نعيش فيه بصفة عامة ومسئولون عن أعمالنا بصفة خاصة.

والمسئولية الإنسانية التي نشترك فيها جميعا لا تتعلق فقط بأفراد مجتمعنا الخاص فقط، وإنما تتعلق أيضا بأفراد المجتمعات الأخرى التي نرتبط معها بعلاقات أو صلات، وهذا أمر يدعو إلى احترام كل الحضارات التي تدعو إلى احترام كرامة الناس المشاركين في الإنسانية، وتحاول التعايش معها تعايشاً سلمياً إيجابيا، وكذا احترام كرامة الإنسان واحترام الحضارات الأخرى التي ينتمي إليها يشكل طريقا أخر للحوار[١].

ويؤكد الإسلام أن التعايش الإيجابي بين الحضارات والشعوب والأديان، وكذلك التنافس فيما بينها في الخيرات يعد شرطا مبدئيا لقيام

---

(١) الإسلام وقضايا الحوار.د/ محمود حمدي زقزوق ص٤٦.



مجتمع عادل تصان فيه حقوقه وتحترم كرامته، كما أن سيطرة حضارة منفردة وتسلطها على مقدرات العالم يؤدي إلى انعدام السلام والأمن [(١)].

نعم إن الحوار هو السبيل الوحيد لتدعيم السلام العالمي، ولذلك يقول د/ محمود حمدي زقزوق في كتابه الإسلام وقضايا الحوار: أنه " عندما يتأمل المرء واقع العالم يجد أن قضية السلام تشغل العالم كله بدرجات متفاوتة..، وهناك اتفاق تام لدى الجميع تقريباً على أن السلام أمر جدير ببذل كل جهد لتحقيقه، بل يعد أمراً ضرورياً لعالمنا الذي نعيش فيه، ولكن الأمر المؤسف أن أفعال الناس في الغالب تسير في اتجاه مضاد للسلام، فالعدوان والظلم والاضطهاد والتطهير العرقي والإبادة الجماعية من الأمور التي أصبحت مألوفة وتحدث تحت سمع وبصر العالم ولا يفعل المتشدقون بشعارات السلام شيئا لوضع حد لتلك الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، وهنا يبين لنا أن هناك انفصاما بين القول والفعل....، والسلام الحقيقي يقتضي بذل الجهد لإزالة هذا الانفصام، والربط الوثيق بين القول والفعل، وهنا يتضح دور العقيدة الإسلامية في التصور الإسلامي، فغياب العقيدة يؤدي إلى هذا التناقض الواضح" .

---

(١) لو نظرنا إلى الحوار الإسلامي المسيحي، أو الحوار الإسلامي الغربي لوجدنا أن هناك دعوات كثيرة من الجانب الآخر تدعو إلى ضرورة الحوار لأهميته البالغة بين المسلمين والمسيحيين، وذلك كالمبادرة الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي في آب / ١٩٦٤م: " أنه بعد حدوث خلافات على مر العصور الماضية بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع المقدس يهيب بالجميع ترك الماضي جانباً، ويحثهم على بذل المزيد من التفاهم والعمل المشترك من أجل التقدم والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية..." انظر: الإسلام والمسيحية.لودفيغ هاغمان. مقالة منشورة في مجلة الاجتهاد ص٣٢، العدد٣٠ سنة ١٩٩٦م ، ثم بعد ذلك صدر عن المجموعة الأوربية سنة١٩٧٣م تصريح بروكسل الذي دعا فيه الدول العربية للحوار، وفي منتصف التسعينات دعت بعض الدول الأوربية لعقد مؤتمرات رسمية، وأخرى أهلية موسعة بهدف تعزيز حوار سياسي واقتصادي وثقافي وإنساني بين أوربا من جهة وبين العرب والمسلمين من جهة أخرى، وشمل هذا الحوار قضايا الحوار بين الأديان ومسائل الهجرة وأنظمة التربية الأوربية والعربية...للمزيد راجع: الحوار الإسلامي المسيحي. الفرص والتحديات. يوسف الحسن ص٢٠ وما بعدها، الناشر/ المجمع الثقافي سنة ١٩٩٧م.

إذا وجود العقيدة الإسلامية من شأنه أن يؤدي إلى التطابق بين القول والعمل، والقرآن الكريم يمقت الانفصال والتناقض بين القول والعمل، ويحذر المؤمنين بأن ذلك لا يجوز أن يكون شيم المؤمنين، وأنه يؤدي إلى المقت الشديد من الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ الصف٢: ٣.

ولا جدال في أن حواراً حضاريا بين الإسلام والغرب يركز على القواسم المشتركة وعلى التعايش السلمي فيما بينهم، ولذا فإن الإسلام حين دعا إلى الحوار فإنه دعا في الوقت نفسه إلى التضامن العالمي بين كل الشعوب حتى تستطيع أن تتحمل معا المسئولية عن هذا العالم.

الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد هذا العرض الموجز لضوابط الحوار في الفكر الإسلامي منهجا وتطبيقا، يتبين لنا أهم نتائج هذا البحث وخلاصته في الآتي:

١ـ أن الحوار والمجادلة والمناظرة ألفاظ متقاربة من حيث المعنى وتؤدي إلى غاية واحدة إذا التزمت آدابها وروعيت ضوابطها وتلك الغاية هي الوصول إلى الحق ورد الباطل.

٢ـ للحوار أهمية كبيرة في الفكر الإسلامي فهو السبيل الأفضل لضبط الاختلاف المذموم وتفعيل قيم التآلف والتعاون بين جميع الناس، وهو أيضا ركيزة في إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين في العقيدة والأخلاق والثقافة، كما يعمل على تعميق المصالح المشتركة بين المتحاورين.

٢ـ إن للحوار آداب وضوابط لا بد من تحققها أثناء الحوار ينبغي لكل من يتصدى للحوار أن يراعيها ويلتزم بها حتى تتحقق الثمار المرجوة من الحوار.

٣ـ كان النبي ﷺ أول من نادى بالحوار بين الأديان، ومارس هذا الحوار بمستوى عال من الأدب وحسن الخلق واحترام الآخر.

٤ـ إن المسلمين على مدى تاريخهم القديم والمعاصر أثبتوا أنهم دعاة حوار وتفاهم وهم يصدرون في ذلك عن مبادئهم وقيمهم الحضارية، وهو أمر يشهد به غير المسلمين، ذلك أن الانفتاح على الحضارات والقافات والحوار معها من المقومات الأساسي للمجتمعات الإسلامية.

٥ـ أصبح الحوار في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى، ولا شك أنه أصبح ضرورة من ضرورات العصر ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات بل تنسحب هذه الضرورة أيضا على مستوى

العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة بصفة عامة، وبين الأديان والحضارات بصفة خاصة ؛ بهدف ترسيخ أسس السلام والاستقرار في العالم.

ولا يفوتنا أن نشير في ختام البحث إلى نقطة هامة لا ينبغي إغفالها، وهي أن الوصول إلى الوفاق التام أو الجزئي ليس لازمة حتمية من لوازم أي حوار؛ وذلك لأن الكثير من الناس لا يتحركون وفق ما تمليه عليهم عقولهم، وإنما ما تمليه عليه مصالحهم، فهم في سبيل هذه المصالح العاجلة قد يسارعون إلى نسف عملية الحوار من الأساس أو إلى تعطيلها في بعض مراحلها قبل أن تثمر الثمرة المرجوة من هذا الحوار.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

* الاتجاهات الفكرية المعاصرة.د/ علي جريشة. دار الوفاق للطباعة والنشر بالمنصورة.ط٤ سنة١٤٢٨هـ٢٠٠٧م
* الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. ط مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة سنة١٣٨٧هـ.
* إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي الطوسي. الناشر/ دار المعرفة - بيروت.
* الإحكام في الأحكام. ابن حزم الأندلسي.دار الجيل.بيروت ط٤ سنة١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
* آداب البحث والمناظرة في ضوء آيات الذكر الحكيم. د/ سيد فرج عبد الحليم. مجلة قطاع أصول الدين. العدد ٣ سنة٢٠٠٨هـ.
* آداب البحث والمناظرة. الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطى.الناشر/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم بجدة.
* أدب الاختلاف في الإسلام.د/ طه جابر العلواني. ط دار الغرب الإسلامي.بيروت- لبنان سنة١٩٧١م.
* أدب الحوار في الإسلام. د/ محمد سيد طنطاوي. ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
* أسلوب المحاورة في القرآن الكريم.د/ عبد الحليم حفني. الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط٣سنة١٩٩٥م.
* الإسلام والغرب. إشكالية الصراع وضرورة الحوار. د/ أحمد عرفات القاضي. مكتبة مدبولي بالقاهرة ط سنة٢٠١٠م.
* الإسلام وقضايا الحوار.د/ محمود حمدي زقزوق . ترجمة.د/ مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣ه ـ٢٠٠٢م.
* بنات الأفكار في أدب المناقشة والحوار.د/ مجدي باسلوم. ط/ دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.
* البداية والنهاية. لابن كثير. تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر/ دار هجر للطباعة والنشر سنة١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

* الاقتصاد في الاعتقاد. للغزالي.تعليق وشرح د/ عبد العزيز سيف النصر، ط١ سنة١٤١٤هـ١٩٩٣م.
* الإمام الجويني إمام الحرمين. محمد الزحيلي. الناشر/ دار القلم ط سنة١٤١٢ه ـ ١٩٩٢م.
* تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. تحقيق/ بشار عواد معروف. الناشر/ دار الغرب الإسلامي ط١ سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
* تاريخ الجدل. الشيخ/ محمد أبو زهرة. الناشر/ دار الفكر العربي بالقاهرة.ط سنة٢٠١٠م.
* تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. للشيخ/ مصطفى عبد الرازق. ط/ لجنة التأليف والترجمة سنة١٣٧٩هـ١٩٥٩م.
* التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع.لأبى الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي.تحقيق/ محمد زينهم عزب. مكتبة مدلولي بالقاهرة ط١سنة١٤١٣هـ١٩٩٣م.
* تفسير ابن السعدي. عبد الرحمن السعدي المكتبة الشاملة .
* تفسير القرآن العظيم. لآبي مظفر السمعاني. الناشر/ دار الوطن ط١ سنة١٤١٨ه ـ ١٩٩٧م.
* تفسير المنار، محمد رشيد رضا. ط٢ دار المنار سنة١٣٦٦ه ـ ١٩٦٧م.
* تفسير ابن كثير. الناشر/ مؤسسة قرطبة . مكتبة أولاد الشيخ للتراث ط١ سنة١٤٢١هـ٢٠٠٠م.
* الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي. دار الكتب المصرية، ط٢ سنة ١٣٨٤هـ ١٩٨٤م.
* الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس.د/ خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي. دار قباء للطباعة والنشر سنة ٢٠٠١م.
*الحوار الذات والآخر. الشيخ/ محمد علي التسخيري. الناشر/ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب والأديان ط١ سنة٢٠٠٣م.
* الحوار في القرآن الكريم .محمد حسين فضل الله. دار الملاك للطباعة والنشر. لبنان سنة١٩٩٦م.
* الحوار مع الغرب. آلياته ـ أهدافه ـ دوافعه. د/ منى أبو الفضل وآخرون. دار الفكر بدمشق ط١سنة ٢٠٠٨م.

* الحوار من أجل التعايش.د/ عبد العزيز التويجري. دار الشروق بالقاهرة ط سنة١٤١٩هـ١٩٩٨م.
* الحوار الإسلامي المسيحي. بسام داود عجك. ط١ دار قتيبة سنة١٩٩٨م.
* حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل. موسى إبراهيم الإبراهيم. دار الإعلام. عمان ط١ سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.
* حوار الرسول مع اليهود. د/ محسن بن محمد. الناشر/ دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت.
* الخوارج نشأتهم وصفاتهم. عقائدهم وأفكارهم. د/ علي محمد الصلابي. الناشر/ دار المعرفة بيروت سنة٢٠١٤م .
* خلق المسلم.محمد الغزالي.ط نهضة مصر سنة٢٠٠٣م.
* روضة العقلا ونزهة العقلاء.محمد بن فضل حبان. مكتبة السنة المحمدية سنة١٣٧٤هـ.
* ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. عبد الرحمن حسن حبنكة. الناشر/ دار القلم للطباعة والتوزيع. دمشق.ط٧ سنة ١٤٢٥هـ.
* طبيعة الحوار في القرآن الكريم.د/ شوقي إبراهيم عبد الله. حولية أصول الدين بالقاهرة. العدد التاسع سنة١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
* الفتح الرباني والفيض الرحماني، عبد القادر الجيلاني. منشورات الجمل سنة٢٠٠٧م.
* الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي.ط١ المطبعة الأدبية بالقاهرة.سنة١٣٢٠هـ.
* الفقيه والمتفقه. أحمد بن علي بن ثابت البغدادي. تحقيق/ إسماعيل الأنصاري. الناشر/ دار الكتب العلمية. بيروت ط سنة ١٤٠٠هـ.
* فنون الحوار والإقناع. محمد ديماس السويدي. الناشر/ دار ابن حزم للطباعة والنشر سنة١٩٩٩م.
* في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.د/ طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء. المغرب ط٢سنة٢٠٠٠م.
* قصص القرآن.على محمد البجاوي وآخرون. المكتبة العصرية.صيدا.بيروت سنة١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.

* القول السديد في علم التوحيد.د/ محمود أبو دقيقة. تحقيق.د/ عوض الله جاد حجازي. ط الإدارة العامة لإحياء التراث.
* الكافية في الجدل. أبو المعالي الجويني. تحقيق د/ فوقية حسين محمود. الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية سنة١٩٧٩م.
* لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول. لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، تحقيق.د/ فوقية حسين محمود. دار الأنصار ط١ سنة١٩٧٧م.
* لسان العرب. لابن منظور. الناشر/ دار المعارف سنة ٢٠٠٨م
* مختار الصحاح.للإمام/محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي. تحقيق/أحمد إبراهيم زهو.دار الكتاب العربي.بيروت ط١سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.
* مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر.د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة ط٢ سنة١٤٢٠م.
* معجم تهذيب اللغة.لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري.تحقيق د/ رياض زكريا قاسم. دار المعرفة بيروت.لبنان ط١ سنة ١٤٢٢هـ١ ٢٠٠م.
* المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية.الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة١٤٢٣هـ١٩٨٢م.
* مقدمة ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. تحقيق/ درويش الجويدي. المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع. صيدا. بيروت ط٢سنة١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
* مقدمة ابن خلدون. تحقيق.د/ علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر ط٧سنة٢٠١٤م.
* معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.د/ إدوارد غالي الدهبي.الناشر/مكتبة غريب بالقاهرة ط١سنة١٩٩٣م.
* المواقف في علم الكلام.عبد الرحمن الإيجي. مكتبة المتنبي بالقاهرة.
* مقاييس اللغة. للعلامة/ أحمد بن فارس الرازي. تحقيق/ عبد السلام هارون. دار الفكر.ط سنة١٣٩٩هـ١٩٧٩م.
* مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي .محمد السماك. دار النفائس بيروت لبنان ط١ سنة١٤١٨هـ١٩٩٨م.

* من روائع حضارتنا. د/ مصطفى السباعي. الناشر/ دار الوراق للنشر والتوزيع ـ المكتب الإسلامي ط١ سنة١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م.
* مناهج الجدل في القرآن الكريم. د/ زاهر عواض للألمعي. ط٢ سنة١٤٠٠هـ.
* منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد. د/ عثمان على حسن. دار أشبيليا بالرياض.ط١سنة١٤١٧هـ .
* الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق/أمير على مهنا، وعلى حسن فاعور. دار المعرفة، بيروت، لبنان ط٩سنة١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا .